المحـور العاشــر

نحو وحدة فكريَّة للعاملين للإسلام

غير مرخصة للطباعة

١٦٢

التَّحْذِيرُ مِنَ العُرْفِ الخاطِئ وَالخداع اللفظي وَالتّركِيزُ عَلَى الْعَقِيْدَةِ وَتأثِيرُها فِي العَمَلِ

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**ليشربَنَّ ناس من أُمَّتي الخمر يُسَمُّونها بغير اسمها**». رواه أحمد وأبو داود.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صُوَرِكُم وأموالكم، ولكنْ يَنْظُر إلى قلوبِكم وأعمالِكم**». رواه مسلم.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحَمَّد وآله وصحبه مصابيح الدُّجى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فهذان أصلان مهمَّان من الأصول العشرين، الَّتي وضعها الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه، لتكون أساسًا للفَهم المشترَك لمن سمَّاهم: الإخوان المسلمين العاملين. فهم الإخوان الصادقون، ومن عداهم، فهم ما زالوا في الطريق، أو لم تصل معرفتهم أو همَّتهم وإرادتهم إلى هذا المستوى الرفيع في جودة الفهم، واستقامة السلوك، وارتفاع الدرجة، والارتقاء إلى دور البذل والتضحية. وقد سمَّاهم مرشدهم حسن البنَّا باسمهم المُعَبِّر: «الإخوان المجاهدين» في المقدِّمة الموجزة الَّتي كتبها لرسالة «التعاليم» الَّتي تتضمَّن عشرة أركان، أولها: ركن الفهم.

ويحسن بي أنْ أقتبس هذه المُقَدّمة لأضعها في هذه السطور.

قال: «فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الَّذين آمنوا بسموِّ دعوتهم، وقُدسيَّة فكرتهم، وعزموا صادقين على أن

QaradawiBooks.com

يعيشـــوا بها، أو يموتوا في ســـبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجِّه هذه الكلمات، وهي ليست دروسًا تُحْفَظ، ولكنها تعليمات تُنَفَّذ.

فإلى العمل أيُّها الإخوان الصادقون: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أمَّا غير هؤلاء، فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريَّات، ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥، الحديد: ١٠]»[1] اهـ.

وهذان الأصلان اللذان نقدِّمهما اليوم هما: **الأصل الســادس عشر، والسابع عشر**، وهما اللذان قال فيهما حسن البنَّا هذه الكلمات: «والعُرْف الخاطئ لا يُغَيِّر حقائق الألفاظ الشــرعيَّة، بل يجــب التأكُّد من حدود المعاني المقصودة بها، والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كُلِّ نواحي الدُّنْيا والدِّين، فالعِبْرة بالمسمَّيات لا بالأسماء».

«والعقيدة أســاس العمل، وعمــل القلب أهمُّ من عمــل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب».

ففي الأصل الأول من الأصلَيْن، ركَّز الأستاذ البنَّا على إبقاء الحقائق الشرعيَّة، الَّتي رضيها الشرعُ للنَّاس، ورسم لها حدودًا، وحدَّد لها ألفاظًا لها دلالتها ومفهومها، فلا يجوز فتح الباب واسعًا للنَّاس، ليتلاعبوا بها،

(١) مقدمة رسالة التعاليم ضمن مجموعة رسائل الإمام البنا صـ ٣٥٥، نشر المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

ويُغَيِّروا ويُبَدِّلوا فيها حسَب أهوائهم، فإنَّ هذا يُضَلِّل النَّاس عن الحقيقة الشرعيَّة، وما وراءها من أحكامٍ تُحدِّد مواقف النَّاس والتزاماتهم.

لهذا كان من الواجب على أهل العلم والدعوة من أهل الاختصاص أن يحملوا المسؤوليَّة، ويعرفوا أهميَّة الحفاظ على المشروعات والموروثات، وحمايتها من عبث العابثين، وتقوُّلات المُفْترين، وتأويلات الكاذبين، وأن يدعوا إلى احترام هذه الألفاظ الشرعيَّة، والتأكُّد من حدود المعاني المقصودة بها، فلا نشطح بها يمينًا وشمالًا، حسَب أهوائنا وأمزجتنا، أو حسَب ثقافاتنا واتِّجاهاتنا، فهذا من أسباب الفتنة بين المؤمنين.

ولهذا حذَّر «البنَّا» ممَّا سمَّاه «الخداع اللفظي» في كُلِّ نواحي الدُّنْيا والدِّين، فإنَّما جعل الله اللُّغة لتنقل المعاني للنَّاس واضحة جليَّة، لا لتصبح ألفاظُها وجُملها وأساليبها «لُعْبة» في أيدي النَّاس، للتمويه بها على الخلق، ولتحريفها عمَّا وضع النَّاس، كما رأينا الباطنيَّة، وبعض المُغَرّرين والمُضَلّلين، الَّذين أعطوا لبعض الألفاظ معاني من عند أنفسهم، غيرَ المعاني الأصليَّة، وحمَّلوها هم من المعاني ما يريدون.

وبهذا بطلت مهمَّة اللغة وألفاظها، ما دام كلُّ إنسان قادرًا على أن يُحمِّل الألفاظ ما يريد هو، لا ما تحمله الألفاظ بحكم دلالتها الحقيقيَّة والمجازيَّة الَّتي تقوم عليها الأدلة.

وكذلك الأصل الثاني من أصْلَيْنا، وهو أنّ: «العقيدة أساس العمل...»، فالعقيدة هي الأصل، وهي الأساس، وهي المنهج، والعمل هو: الفرع والبناء والنبع. ولا بدَّ أن يُبْنَى العمل على العقيدة، ومن لم يُؤَسِّس عمله بالعقيدة، فلا قيمة للعمل، ولهذا قال الله في شأن الكفَّار:

QaradawiBooks.com

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

وذكر البنَّا هنا أنَّ العمل المُتَفَرِّع من العقيدة، ينقسم إلى: عمل القلب، وعمل الجارحة، «وعمل القلب أهمُّ من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كِلَيْهما مطلوبٌ شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب».

وفي أعمال القلوب قامت كتب التصوُّف والسلوك والأخلاق الإسلاميَّة، وقام رجال كبار ومدارس وجمعيَّات وطُرق: بالتأليف، والتدريس، والتزكية العمليَّة للنفوس، وكانوا كما كان غيرهم من النَّاس ـ على تفاوت فيما بينهم، وإن لم يخرجوا عن الأُمَّة المختارة المصطفاة ـ كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢].

أقدم بهذه الكلمات هذين الأصْلَيْن من أصول الإمام البنَّا العشرين، لعلَّنا نُحْسِن فهمَهما، ونُحْسِن العمل بهما، ونُحْسِن الدعوة إليهما، ونضمُّهما إلى المجموعة الفِكْرِيَّة الَّتي تكونها، لتكون زادنا إلى الحق والخير في الدُّنْيا والآخرة. والحمد لله ربِّ العالَمين.

الفقير إلى عفو ربِّه

يوسف القرضاوي

١٦ ربيع الأول ١٤٣٤هـ

٢٨ يناير ٢٠١٣م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأصل السادس عشر

التحذير من العُرف الخاطئ

«والعُرْف الخاطئ لا يُغيِّر حقائق الألفاظ الشـــرعيَّة، بل يجب التأكُّد من حدود المعاني المقصودة بها والوقـــوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي فـــي كلِّ نواحي الدُّنْيا والدِّين، فالعِبْرة بالمســـمَّيات لا بالأسماء».

* * *

نسخة مجانية

تمهيد

حرص الإسلام على البيان والوضوح الكامل:

يسعى الإسلام في كلِّ تعاليمه وأحكامه وتشـريعاته وتوجيهاته إلى البيان والوضوح الكامل، حتَّى يتبيَّن النـاسُ الخيطَ الأبيض من الخيط الأسـود، وحتى يظهر لهم الحق أبيض ناصعًا، ويظهر لهم الباطل أسود داجيًا، ولهذا ذكر القرآن أنَّ الله أرسـل رسـله بـ «البيِّنات»، وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ كان «بيِّنة» ظاهرة بدعوته وبسيرته، يقول القرآن: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ١، ٢]. فمحمَّد هو البيِّنة الواضحة من ربِّه على الناس.

ومن هذه وصف الله القرآن بأنَّه نزَّلـه ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

ومن هنا نجد حرص الإسلام على أنْ يُعَرِّف حقائق الأشياء للنَّاس كما هي، دون محاولة ممجوجة للتهوين منها، أو التهويل لها، أو إحاطتها بسياجٍ من الغموض أو الألغاز الَّتي يصعب فهمها على النَّاس. بل يجب أن تعرض وتُعرف كما هي في حقيقـة الأمر، دون إخلالٍ أو تهويـنٍ يُقَلِّل من وزنها،

QaradawiBooks.com

ودون تضخيمٍ أو تكبيرٍ يَبسُطها للنَّاس ويوسِّعها، ولهذا قال تعالى على لسان نبيِّه شُعَيْب: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣].

وبهذا يتعرَّف النَّاس على الأشـياء والمعاني والأشخاص والحقائق كما هي، ويُعرِّفونها بعضهم لبعض كما هي، دون إخفاء لها، أو تنقيصٍ منها، أو زيادة عليها، وهذه كانت مهمَّة الأنبياء والرسل الَّذين أرسلهم الله سبحانه إلى خلقه، ليُعرِّفوا النَّاس بالله الَّذي خلقهم، وبالحق الَّذي يجب أن يؤمنوا به، وبما لخالقهم عليهم من حقوق، وكذلك بما لبعضهم على بعض، حتَّى يأخذ كلٌّ منهم حقَّه، ويُـؤَدِّي واجبه، ويأتمروا بالمعروف، ويتناهوا عن المنكر، وهــذا ما يقوم عليه الدِّين الحقُّ، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

معرفة الأشياء عن طريق اللغة والعرف والعقل والحسِّ والشرع:

ولقد عرف النَّاس بالطرق المختلفة، الَّتي جاءهم بها أهل العلم: أن حقائق الأشياء ينبغي أن تعرف من عدة طرائق يسلكها الناس.

فهناك أشياءُ أو أمورٌ تُعرف عن طريق اللُّغة.

وهناك أشياء وأمور تعرف عن طريق العُرْف.

وهناك أشياء وأمور تُعرف عن طريق العقل.

وهناك أشياء وأمور تعرف عن طريق الحِسِّ.

وهناك أشياء وأمور تُعرف عن طريق الشَّرع.

QaradawiBooks.com

المعرفة عن طريق اللغة:

فما يُعرف عن طريق اللغة: الأشياء الطبيعيَّة الَّتي يُواجهها النَّاس وتُواجههم، مثل: الشمس والقمر والنُّجوم، والليل والنَّهار، والأرض والسَّماء، والحيوان والنَّبات، وغيرها من الأشياء.

فالمعروف أنَّنا نعرف هذه الأشياء عن طريق اللُّغَة، ومُفردات اللُّغَة ومعانيها قد أصبحت مكتوبةً ومسجَّلة بوساطة العلماء الَّذين سبقوا في تحصيلها وجمعها من أهلها والعارفين بها، مثل الأعراب وأهل البادية في اللغة العربيَّة، وكتابتها عنهم، وتثبيتها في كتبٍ مختصَّة، تعرف باسم «المعاجم»، منها الصَّغير، ومنها المتوسط، ومنها الكبير. كما يُعرف في اللغة العربيَّة «مُخْتَار الصحاح» من المُخْتَصَرات، و«الصحاح» و«القاموس» من المتوسِّطات، و«اللسان» و«شرح القاموس» من المطوَّلات.

كما أخرج مجمع اللغة العربيَّة في القاهرة «المعجم الوسيط»، وكما أخرج بعض الأجزاء من «المعجم الكبير»، وهو معجم موسوعي.

وقد يجد بعض المُتَوسِّطين والمُخْتَصِّين في علمٍ من العلوم بعض التعريفات لبعض الأشياء في معاجم اللُّغة، فيه قصور أو نقص، كما في تعريف الشمس أو القمر أو الأرض أو النجم، أو غير ذلك. فقد ظهر له من العلم آفاقٌ جديدة لم يكن يستطيع العالم اللُّغوي القديم أن يدركها. ولهذا يجب أن نستفيد من علم هؤلاء القطعي أو الترجيحي، حتَّى تكتمل التعريفات لها وتقرُب من الكمال، وهو ما يراعيه علماء المجامع اللُّغويَّة في معاجمهم صغُرت أو كبُرت، وفي إحصاءاتهم ودراساتهم اللُّغويَّة.

QaradawiBooks.com

المعرفة عن طريق العُرف:

وهناك أشياءُ وأمور وقضايا لا تُعْرَف إلَّا من طريق العُرف، وهو عادة الجماعة. أي: عادة جماعة من النَّاس في بلدٍ أو قُطْر، أو أوسع من ذلك أو أضيق.

والعُرْف إمَّا لَفْظِيٌّ وإمَّا معنويٌّ.

وقد قال ابن عابدين علَّامة المتأخِّرين من الحنفية:

والْعُرْفُ في الشَّرْعِ له اعتبارُ لذا عليه الحُكْمُ قــد يُدارُ[1]

وفي باب الأَيْمان نجد مبناها في علم الفقه على العُرف، فلو حلف ألَّا يأكل لحمًا، فأكل سمكًا، لم يحنث؛ لأنَّ السمك في العُرف لا يعتبر لحمًا، مع أنَّ القرآن سمَّاه: ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤، فاطر: ١٢].

المعرفة عن طريق العقل:

وهناك أمور وقضايا وأشــياء لا يمكــن معرفتهــا إلَّا من طريق «العقل»، الَّذي آتاه اللهُ الإنســان، وكرَّمه به على الحيوان، وهو ذلك الجوهر الَّذي به يَعرف الإنســانُ علوم الرياضيات أعاليها وأواسطها وأدانيها، وبه يعرف الإنســان العقائد الدينيَّة الأساسية مثل وجود الله تعالى، واتِّصافه بالعلم والإرادة والقــدرة والحكمة، عن طريق النظر في الكون والمخلوقات وما فيها من بدائــعَ وآيات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

(١) رسالة نشــر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف ضمن مجموعة رسائل ابن عابدين (١١٤/٢)، نشر عالم الكتب.

QaradawiBooks.com

ومثل إثبات النبوَّة بصفة عامَّة، وإثباتها لشـــخصٍ معينٍّ، مثل موسى وعيسى ومحمَّد عليهم السلام، فهذه لا يمكن إثباتها إلَّا بالعقل، وبعد أن يبيِّنها العقل بموازينه الخاصَّة، يعزل العقل نفســه، ليتلقَّــى علمَه من الوحي، المصدر الأعلى للمعرفة، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

والعقل البشري هو الَّذي يتلقَّى الوحي الإلهيَّ من الله تبارك وتعالى، وهو الَّذي يتولَّى بيانــه للنَّاس المنزَّل إليهم عن طريق رســله، كما قال تعالــى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

والعقل هو المتاح له أن يبيِّن بالشــرح والتفصيل للنَّاس ما أنزل الله من كتاب، عن طريق العلمــاء الربَّانيِّين، الَّذين ورثــوا الكتابَ وورثوا العلم، كما قال النبيُّ ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[(١)].

والعقل هو وراء الفلســفات الكبيــرة والكثيرة الَّتي عرفها البشــر، وخاضوها بعقولهم، فنفوا وأثبتوا، وأقبلوا وأعرضوا، وذهبت فلســفات وجاءت أخرى هي نتيجة عقول البشــر، الَّتي تصيب وتخطئ، ويُصَوِّب بعضها بعضًا، أو يُخَطِّئ بعضها بعضًا، ويبقــى في النهاية الصالحُ الَّذي يحتاج إليه البشر، كما قال القرآن: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

(١) جزء من حديــث رواه أحمد (٢١٧١٥)، وقال مخرِّجوه: حســن لغيره. وأبــو داود في العلم (٣٦٤١)، والترمذي في العلم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٢)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

المعرفة عن طريق الحسِّ:

وهناك أمور وقضايا وأشياء تعرف عن طريق «الحسِّ»، وهو ما يتعلَّق بأكثر العلوم الكونيَّة والطبيعيَّة القائمة علـى الملاحظة والتَّجْرِبة، وفيها تدخل كلُّ أدوات الرصد والقياس والوزن والمراجعة، الَّتي وصلت إلى غاية الدقَّة، ووصلت إلـى أرقَّ وأدقَّ ما يكون من «الـذرَّة» وجزئياتها، وارتقت إلى «المجرَّة» ومكوناتها.

وأصبحت العلـوم الكونيَّة والطبيعيَّـة، الَّتي غدا يتعلَّمهـا التلاميذ في مدارسهم، كما يتعلَّمونها في محيطهم الخاصِّ، عن طريق حواسِّهم الخاصة، فأصبح التلميذ منهم يعرف عن الكون وحقائقـه ومعلوماته المختلفة، ما لم يكن يعرفه الفلاسفة الكبار القُدامى، أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس.

وأصبح هؤلاء التلاميذ قادرين على معرفة كل ما يتعلق بالأرض من معلومات، من حيث شكلها، ومقدارها، وسرعة دورانها، ومقدار حرارة الشمس على أجزائها، وكذلك البرودة في الجانب الآخر، ومقدار بعدها عن الشمس وقربها منها، ومقدار ما فيها من ماء، ومن أرض، ومن غاز، وأكسجين وهيدروجين، وأنواع الغاز الأخرى، إلخ.

ويَعرف ما في الكواكب والنجوم في مجرَّته الَّتي هو فيها، الَّتي يسمُّونها «سِـكَّة التَّبَّانة» أو «درب اللَّبَّانـة»، وكذلك المجرَّات الأخـرى، كما يقول القرآن: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۞ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦ ـ ١١].

QaradawiBooks.com

المعرفة عن طريق الشرع:

وهناك أشياءُ وأمور وقضايا لا تُعرف إلَّا بالشرع، وإن كان لها معانيها في اللغة، ولهذا يضطر علماء الشرع أن يذكروا معناها لنا لغةً، ثمَّ يذكروا لنا معناها شرعًا.

هكذا في الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وغيرها.

فهم يقولون: الطهارة لغة: النظافة. وشرعًا: رفع الحدث وإزالة الخَبَث.

والصلاة لغة: الدعاء. كما قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وشرعًا: أفعال مخصوصة بنيَّة مخصوصة، تبتدئ بالتكبير، وتختتم بالتسليم.

وكذلك الزكاة لغة: الطهارة والنماء. وشرعًا: إعطاء حقٍّ معلوم من مال بلغ نصابًا إلى من يستحقُّه بنيَّة معلومة.

وكذلك نجد تعريف الصيام والحج وغيرها لغة وشرعًا.

فكل ما له تعريف محدد في الشَّرع، لا بدَّ له من أصل لغوي، قبل أن يصل إلى المعنى الشرعي الجديد.

وأصبح للشَّرع علوم كثيرة متخصِّصة، لها مصادرها ومواردها، وأحكامها وخصائصها ومقوماتها، منها علوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث ورجاله، وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم السيرة والتاريخ، وعلوم التصوُّف والأخلاق، وقبل ذلك كله علوم العقيدة في الله والملائكة والكتاب والنبيين واليوم الآخر.

QaradawiBooks.com

هذا الأصل من الأصول العشرين:

وفي هذا الأصل السادس عشر من الأصول العشرين الشهيرة الَّتي وضعها الإمام الشهيد حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ، لتكون أساسًا لوحدة فهم الإخوان المسلمين العاملين، ولتكون أساسًا لوحدة فهم الجماعات الدينيَّة المختلفة في مصر، كما ذكرتُ في شرح الأصل الأول (شمول الإسلام) أنَّه قدَّم هذه الأصول ـ وقد ضم بعضها إلى بعض فكانت عشرة ـ إلى اتحاد الجمعيات الإسلاميَّة في مصر، لتكون مجالًا للتفاهم والتقارب فيما بينها.

في هذا الأصل أراد الإمام حسن البنَّا أنْ يبيِّن: أنَّ الأصول الشرعيَّة، والألفاظ الشرعيَّة، الَّتي تبيِّن الأحكام الشرعيَّة والعقائد والمفاهيم الإسلاميَّة، والفرائض والواجبات والسنن الدينيَّة، أو المحرَّمات الَّتي حرَّمها الله على عباده، ونحو ذلك، يجب أن تُراعِي هذه الأصول الأحكام والألفاظ الَّتي تتعلق بها، لما يتصل بها من أحكام شرعيَّة، من حلال وحرام، ومن فرض واستحباب، فلا ينبغي الاستهانة بها، وتركها لمن يتلاعب بها من النَّاس المستهترين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

احترام الحقائق الشرعيَّة كالإيمان:

إنَّ الله تبارك وتعالى يحبُّ من عباده أن يحترموا الحقائق الشرعيَّة، وأن يُولوها عنايتهم، ويحافظوا عليها من سوء الفهم، والاختلاط بغيرها ممَّا يشبهها وإن لم يكن إيّاها، وهذا واضح كل الوضوح في القرآن.

QaradawiBooks.com

فالإيمان حقيقة إسلاميَّة، به السلامة من الكفر والشرك والإلحاد والنفاق، وبه يستحقُّ صاحبه النجاة من النار، ودخول الجنَّة مع الأبرار، كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وبه يستحق أن يكون من المؤمنين، ومن أتباع النبيِّين، كما قال تعالى على لسان الحواريِّين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. وبه يستحق إذا أحيا إيمانه، وخلص إيمانه من الشوائب أن يكون من المجاهدين في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٤، ١٥].

إيمان المنافقين إيمانٌ مغلوط:

وقد حاول المنافقون الَّذين آمنت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، أن يلبسوا أنفسهم بالمؤمنين، بمجرد كلمات ينطقونها لا تعبر عن مكنون أفئدتهم، أو شعارات يعلنونها ليست معبِّرة حقيقة عما يجري في سرائرهم، فلم يعترف القرآن بإيمانهم، لمجرد هذه التعابير الزائفة. قال تعالى في كتابه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ

QaradawiBooks.com

شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۞ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٦].

وفي موقف آخر يصور القرآن المنافقين المتقوِّلين، فيقول تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥٢].

وفي سياق آخر يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

ذلكم هو موقف المنافقين الَّذي وضَّحه القرآن الكريم في سور شتَّى، وبصور شتى، أرادوا أن يخرجوا بالإيمان عن حقيقته الناصعة، وأن يلوِّثوه بصيغهم المضطربة اضطراب ضمائرهم، المسودَّة اسوداد قلوبهم، الَّذين يريدون إيمانهم إيمان منفعة دنيوية، لا إيمان حقٍّ ينصرونه ويبذلون له كلَّ غالٍ ونفيس، من الدَّم والمال والأهل والدار والراحة، وكل ما هو محبَّب إلى الإنسان، فلم يقبلهم الإيمان في ظله، وطردهم شرَّ طردة؛ لأنَّهم لم يصبروا على ما يصيب أهل الإيمان من ابتلاءات

QaradawiBooks.com

الدنيا، والله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

لقد وضَّح القرآن حقيقة الإيمان في آياته وسوره، كما في أوائل سور المؤمنين، وأوائل سورة الأنفال، وفي أوصاف عباد الرحمٰن، وغيرها من أوصاف المتَّقين والمحسنين والأبرار وأولي الألباب، حتَّى تتضح الرؤية، وتتبين الصورة للمؤمنين الصادقين، فيعرفوا من هو المؤمن الَّذي ينبغي أن يُحبَّ ويُوالى ويدافع عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١]، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

يجب إيضاح مفاهيم الضلالة أيضًا لتستبينَ سبيلُ المجرمين:

وإذا كان المؤمنون الصادقون حريصين على أن يُبرزوا إيمانهم الَّذي شرح الله صدورهم له، حقيقة لا يقاومها باطل، يقينًا لا يعكِّر عليه شكٌّ، عملًا صالحًا لا يقف في سبيله هوًى ولا كسل ولا شهوة من شهوات الدنيا، أو زخرف من زخارف أهلها، فهم لذلك حريصون كلَّ الحرص على أن يُبرزوا مواقف المناوئين لهم، الَّذين يتلوَّنون تلوُّن الحرباء، ويحاولون أن يتزيَّوْا بزيِّ المؤمنين. فإنَّما يتبينُ الحقُّ قويًّا جليًّا إذا ظهر

QaradawiBooks.com

بجواره الباطل مكشوفًا مفضوحًا، حتَّى يبدوَ كلٌّ منهما لأصحابه معروفًا غير خفيٍّ، ولا مُغطًّى بأي غطاء كاذب يُجلي للنَّاس غيرَ الحقيقة، ويظهر جوانب زائفة، لا تبرز فيها أية صورة أو شبه صورة توضِّح الحقائق للنَّاس، ولهذا يقول القرآن: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

ويقول: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ويقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

ويقول: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأصل السادس عشر

نتحدَّث هنا عن الأصل السادس عشـــر، من الأصول العشرين الَّتي قدَّمها حسن البنَّا لإخوانه العاملين الصادقين في رسالة «التعاليم»، وهو الَّذي يقول فيه:

«والعُرف الخاطئ لا يغيِّر حقائق الألفاظ الشـــرعيَّة، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصودة بها والوقـــوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي فـــي كل نواحي الدُّنْيا والدِّين، فالعِبْرة بالمُسَـــمَّيات لا بالأسماء».

للعُرْف أهميَّة في الدِّين والحياة:

نحن نعلـــم أنَّ للعُرْف أهميَّةً فـــي حياة النَّاس وفي ديـــن الله أيضًا، والعُرْف هو: عـــادة الجماعة، ما اعتادته جماعة مـــن النَّاس في حياتهم. ومعنى العادة: ما تكرَّر حتَّى أصبح شـــيئًا مألوفًا يُعمل به بدون معاناة. معظم حياة الإنسان مجموعة عادات، أشياء تعوَّدها النَّاس، الإنسان وُلد غير متكلِّم، فتعوَّد أنْ يتكلَّم، وُلد لا يقدر على الأكل، فتعوَّد بالتدريج أنْ يأكل، وأحسنَ الأكلَ. وُلد لا يمشـــي، فتعوَّد أنْ يمشي، وأحسنَ المشي والركض. لذلك يقولون: العادة طبيعة ثانية.

QaradawiBooks.com

الأعراف أنواع:

هناك عادات فرديَّة، وهناك عادات جماعيَّة ـ وهي ما يُسمَّى: «العُرف» ـ ما تعارف عليه قوم من الناس.

والعُرف أحيانًا قد يكون عُرفًا عمليًّا، عرف النَّاس أن يأكلوا بالطريقة الفلانيَّة، ويلبسوا ملابس قصيرة أو طويلة، وتعارف بعض النَّاس أن يقصُّوا اللحى ويُعفوا الشوارب، أو بالعكس، هذه أعراف عمليَّة.

وهناك أعراف قوليَّة تتعلَّق بالكلام، كلمات يتعارف عليها النَّاس، تؤدِّي معنى كذا؛ لأنَّ الألفاظ الحقيقيَّة إمَّا أن تكون: حقيقة لُغويَّة، أو حقيقة شرعيَّة، أو حقيقة عرفيَّة.

الحقيقة اللُّغويَّة: ما دلَّت عليه اللغة، عندما تقول: القمر، القمر معروف، هو الَّذي يظهر في الليل في أول الشهر صغيرًا، ثمَّ يكبُر حتَّى يكتمل، ثمَّ يبدأ في الصغر حتَّى يُمْحَى، هذا في ظاهر النظر، ثمَّ يعود مرَّة أخرى. وهكذا.

ولذلك حين يقول الناس: القمر الصناعي، هذا حقيقة عُرفيَّة، وليست لُغويَّة، والحقيقة أنَّه لا قمر ولا شيء، هو قُمَيْر، أو شبه لُعبة بالنسبة للقمر، القمر حقيقة لغويَّة، اللُّغة هي الَّتي عرفتنا أنَّ الشيء الفلاني اسمه شمس، والشيء الفلاني اسمه قمر، وهكذا الحقائق اللُّغويَّة.

بين الحقيقة اللُّغويَّة والحقيقة الشرعيَّة:

وبعد ذلك توجد حقائق شرعيَّة، وأحيانًا قد تختلف الحقيقة الشرعيَّة عن الحقيقة اللُّغويَّة، فالصلاة في اللُّغة لها معنى، وفي الشرع لها معنى،

QaradawiBooks.com

والطهارة في اللغة لها معنى، وفي الشـرع لها معنـى، ولذلك نجد في كتب الفقه: هي لغة كذا. وشـرعًا كذا. الشـرع أحيانًا يُخصِّص الكلمة، ويجعل لها مدلولًا خاصًّا غير المدلول العام الَّذي في اللغة، هذه اسمها حقيقة شرعيَّة.

وهناك حقيقة عرفيَّة كما قلنا، العرف يُطلق مثلًا: الدابة على البهيمة، على حين أنَّها في اللغة: كلُّ ما يدبُّ على الأرض، ولذلك الإنسـان في اللغـة: دابَّة، حينما يقـول الله تعالـى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]، تشمل الإنسان والحيوان، هناك مخلوقات حية تدب على الأرض، وهناك مخلوقات تطير بجناحيها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، فالإنسان يدخل في هذا لغةً.

الشـرع لا يمنع النَّاس أن تتعارف على ألفاظ معيَّنة، تصطلح عليها، أو يجري بها عُرف النَّاس، وطبعًا هذا تترتَّب عليه أحكام. عندنا في الفقه معروفٌ ـ كما ذكرنا من قبل ـ أنَّ الأيمان مبنية على العُرف، وقد ضربنا لذلك مثلًا: لو أنَّ واحدًا قال: والله لا آكل لحمًا. ثمَّ ذهب فاشترى سمكًا وأكل منه، هل يكـون بذلك قد حنث في يمينه؟ لا لـم يحنث، مع أنَّ القرآن سمَّى السمك: لحمًا طريًّا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ [النحل: ١٤]، لكن العُرف لا يُسـمِّي السـمك لحمًا، العرف يميِّز بين السمك واللحم، فهنا الشرع يحترم هذه الأعراف، ويبني عليها الأحكام، وفي كثير من الأمور يُقرُّ الشرع العُرْف.

هناك أعراف عامة، وهناك أعراف خاصَّة، هناك عرفٌ عامٌّ لكل البلاد، وهناك عرف خاص لبعض البلاد. أهل الخليج لهم عرف يضمُّهم، وأهل

QaradawiBooks.com

مصر لهم عرف يشملهم، وأهل الشام لهم عرف كذلك، وأهل العراق لهم عُرف أيضًا، وكذلك أهل اليمن، وغيرهم من الشعوب والأقاليم.

وهناك أعراف لفئات من النَّاس، مثل عُرف تِجاري للتجاريِّين، وعُرْف زراعي عند الزراعيِّين، وعرف طِبِّي عند الأطبَّاء، وعرف قانوني عند القضاة والمحامين، وعرف محاسبي عند المحاسبين، إلخ، هذه أعراف خاصَّة تُحترم، فالعُرْف له مدخل في الشرع.

التأصيل الشرعي للعُرف:

وممَّا قرَّرناه في كتابنا «القواعد الحاكمة لفقه المعاملات»: القاعدة السابعة، وهي: «مراعاة العادات والأعراف فيما لا يُخالف الشرع». وممَّا قُلتُه في شرحها والتدليل عليها: «ومن القواعد الحاكمة في فقه المعاملات، الَّتي اتَّفق عليها الفقهاء بمختلف مذاهبهم: الاحتكام إلى أعراف النَّاس وعاداتهم، فيما لم يُخالِف الشرع. ولهذا جعلوا من القواعد الفقهيَّة والشرعيَّة الكلية المُجْمَع عليها: قاعدة «العادة مُحَكَّمة»، وقد أصَّلوا لها، واحتجُّوا لها.

فقد استدلُّوا على هذه القاعدة بقول ابن مسعود: ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسنٌ، وما رآه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح[1].

وقد أورده بعضهم على أنَّه حديث مرفوع، والصواب أنَّه موقوفٌ رواه أحمد في مسنده.

(١) رواه أحمد (٣٦٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والطبراني في الكبير (١١٢/٩)، والأوسط (٣٦٠٢)، والحاكم في معرفة الصحابة (٧٨/٣، ٧٩)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣٢): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

QaradawiBooks.com

ولكن معناه ـ وإن كان موقوفًا ـ صحيحٌ في ميزان الشرع، الَّذي يرى رؤية المؤمنين معتبرة عند الله في المدح والقدح، فالله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، فجعل رؤية المؤمنين معطوفة على رؤية الله ورسوله للعمل، كما قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٣٥]، فجعل مقت المؤمنين معطوفًا على مقت الله. وقال النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»[1].

وهذه القاعدة «العادة مُحَكَّمة» يُرجع إليها في العبادات والمعاملات جميعًا، وليست مقصورة على المعاملات، ولكنها في الواقع أكثر ما يُحتاج إليها في العادات والمعاملات، لما للعرف القائم والعادات السائدة من تأثير على معاملات النَّاس وتصرُّفاتهم الدنيوية إلى حدٍّ كبير، بخلاف العبادات، فإنَّ تأثيرها أقل.

حاجة المفتي والقاضي إلى معرفة العُرف:

ولهذا كان كلٌّ من المفتي والقاضي في حاجة إلى معرفة العرف السائد، حتَّى لا يُفتي أو يحكم بما يخالفه، فيقع في الخطأ وهو لا يدري، أو لا يقصد.

ولهذا نصَّ المحقِّقون على أنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر العرف، كما تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان. وكذلك قضاء القاضي، إذ قضاء القاضي هو نوع من الفتوى، إلَّا أنَّه مُلزمٌ للمتقاضِيَيْن، والفتوى ليست ملزمة قضاءً، وإن كانت ملزمة ديانةً.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، كلاهما في الجنائز، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ومن هنا نبَّه العلماء الراسخون على ضرورة مراعاة المفتي للعرف السائد في كل بلد، وفي كل زمن، حتَّى لا يضلَّ عن الحقيقة. وممَّن نبَّه على ذلك الإمام شهاب الدِّين القَرَافي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]. كما نبَّه على ذلك الإمام ابن القيِّم الحنبلي في الفصل الَّذي عقده في «إعلام المُوَقِّعين» عن موجبات تغيُّر الفتوى، وهي تغيُّر الزمان والمكان والحال والعُرْف، والعُرْف أحد هذه الموجبات بلا نزاع[٢].

وقد اهتمَّ علماء العصر في بحوثهم الفقهيَّة بـ «العادة» و«العُرْف»، وأصَّلوها، ورتَّبوا عليها قواعدَ وأحكامًا لها خطرها وتأثيرها على المستوي النظري، وعلى المستوى العملي. ومن أهم ما قُدِّم في هذا المجال: رسالة شيخنا العلَّامة الأزهري الشيخ العلَّامة الدكتور أحمد فهمي أبو سِنَّة «العرف والعادة في رأي الفقهاء»، وكانت رسالة للحصول على شهادة العالِميَّة «من درجة أستاذ» من كُلِّيَّة الشريعة بالأزهر، وبحث الفقيه العلامة الشيخ مصطفى الزرقا عن «نظريَّة العُرْف» في كتابه «المدخل الفقهي العامُّ» من جزئه الثاني. وقد كان مبحث العرف من المباحث الَّتي طلبها «المجمع الفقهي الإسلامي الدولي» في إحدى دوراته، وقد قُدِّمت له بحوث مستفيضة نشرتها مجلَّته، ويمكن الرجوع إليها»[٣].

(١) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام للقرافي صـ ٢١٨، ٢١٩، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) إعلام الموقعين (١٧٥/٤) وما بعدها، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٣) انظر كتابنا: القواعد الحاكمة لفقه المعاملات صـ ١٣٣ وما بعدها، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

ابن عابدين يؤصِّل للعُرْف:

وقد ذكرنا عن ابن عابدين علَّامة متأخري الحنفية وصاحب الحاشية الشـــهيرة: «رد المحتار على الدر المختار» قوله رَحِمَهُ اللَّهُ في منظومته «عقود رسم المُفْتي»:

وَالعُرْفُ في الشَّرْعِ لَهُ اعْتِبَارُ لذا عليــه الحُكْمُ قــد يُدَارُ

وقد شرح ابن عابدين هذا في رسالة له اسمها: «نشر العَرْف في بناء بعض الأحكام على العُرْف»[(١)].

فالشـــريعة فيها أحكام مبنيَّة على العُرف، حتَّى إنَّ النصوص نفسها ـ وخصوصًا من الســـنة ـ تأتي أحيانًا بناء على العرف، فإذا تغيَّر العُرف، فالمفروض أن يتغيَّر الحكـــم، وإذا كان الأصل هو العرف، وعدَّل بعضَه الشـــرع، وأبقى البعض الآخر كما هو، حيث جـــاء والناس على أعراف مختلفة، فأقرَّ بعضها، وأنكر أو ألغى بعضها، فيجب أن يُعترف للشـــرع بذلك إقرارًا وإلغاء وتعديلًا.

إلغاء الشرع لبعض الأعراف الشائعة:

ففي البيوع وفي المعامـــلات، وَجَدَ الربا قائمًـــا، فألغى الربا ولم يقـــرَّه، ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقـــرة: ٢٧٦]، ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقـــرة: ٢٧٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وجد الاحتكار شـــائعًا في التجـــارات، فمنع الاحتـــكار، وقال ﷺ:

(١) انظر: مجموعة رسائل ابن عابدين (١١٤/٢).

QaradawiBooks.com

«**من احتكر فهو خاطئ**»[١]. أي: آثم، كما قال القرآن: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]، وجد التلقِّي أو الجَلَب أو بيع الحاضر للبادي، كلها أشياء سائدة في الأسواق وفي المجتمع، فأنكرها.

تعديل بعض الأعراف:

ولكن هناك أشياء أقرَّها، قد يقرّها إقرارًا كليًّا، وقد يقرّها إقرارًا جزئيًّا، وقد يُقرُّها بعد أن يضع لها حدودًا وضوابط، مثل: السَّلَم، وهو السَّلَف. وفي الاصطلاح الفقهي: هو «بيعُ آجلٍ بعاجل» أو «دَيْن بعَيْن». فقد جاء الإسلام وهم يُسلفون في الثمار السنة والسنتين، فأقر النبي ﷺ ذلك، ولكنَّه وضع له شروطًا وضوابط، فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قدم النبي ﷺ المدينة، وهم يُسْلِفُون في الثمار السنة والسنتين، فقال: «**من أَسْلف في تمر، فليُسلف في كيلٍ معلوم، ووزنٍ معلوم، إلى أجل معلوم**»[٢]. يعني: وضع ضوابط لهذا العُرْف حتَّى لا يحدث ضرر ولا ضرار، ولا نزاع ولا جهالة، ولا غُبن لأحد الأطراف.. وهكذا.

تغيُّر العُرف الَّذي بُني عليه الحكم:

بعض النصوص قد تكون مبنيَّة على العرف، وهنا لو تغيَّر العرف الَّذي بُنِيَ عليه الحكم يمكن أن يتغيَّر الحُكْم نفسه، إذا كُنَّا متأكِّدين أنَّ الحكم مبنيٌّ على هذا العرف، وهذا ما ذهبتُ إليه وأنا أبحث في فقه الزكاة، رأيتُ النبي ﷺ جعل هناك نصابين للنقود في الزكاة: نصابًا بالفضة، ونصابًا بالذهب، عشرين مثقالًا من الذهب، ومائتي درهم من

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٦٠٥)، عن معمر بن عبد الله القرشي.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في السلم (٢٢٣٩)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الفضة، هل النبي ﷺ حين جعل هناك نِصَابَيْن: هل قصد أن يكون هناك اختلاف بين الأغنياء بعضهم وبعض؟!

ما هو النصاب؟ النصاب هو الحدُّ الأدنى للغِنَى الموجب للزكاة، فصادف الأمر أنَّه كان في العهد النبوي عُملتان يتعامل النَّاس بهما: عملة فضية هي الدراهم، وعملة ذهبية هي الدنانير. مع العلم أنَّ العرب في عهد النبوَّة لم يكن لهم نقود، النقود تأتيهم إمَّا من فارس، وهي الأغلب، وهي الدراهم الفِضِّيَّة، وإمَّا أن تأتيهم من الرُّوم، من الدولة البيزنطيَّة وهي العملة الذهبيَّة، الدنانير الذهبيَّة، وكان الدينار يُصرف بعشرة دراهم، فجعل النِّصاب إمَّا عشرين دينارًا، أو مائتي درهم. كأنَّها عشرون دينارًا مضروبة في عشرة، ولم يقصد الرسول الكريم إلَّا التيسير على النَّاس، ليدفع كل منهم بما هو عنده وما تيسر له، ولم يقصد أن يكون هناك نصابان متفاوتان أعظم التفاوت، كما رأينا في عصرنا. حيث نرى أنَّنا إذا مشينا على هذا الأمر نجد أن نصاب الذهب متفاوت تفاوتًا شنيعًا عن نصاب الفضة، وما يريد هذا الشارع، إنَّما قصد الحد الأدنى للغِنَى. لهذا رأينا أن يكون للزكاة نصاب واحد، قدَّرناه من الذهب بقيمة (٨٥) جرامًا؛ لأنَّه هو الأقرب إلى باقي الأنصبة الأخرى[1].

العُرف الخاطئ لا يغيِّر حقائق الألفاظ الشرعيَّة:

الذي يُهمُّنا تأكيده هنا: ما ذكره الإمام البنا، وهو: أن هناك أعرافًا شرعيَّة، وبخاصة الأعراف اللفظية. فإذا نشأ عرف خاطئ، فالأصل أنَّه لا يغير حقائق الألفاظ الشرعيَّة، كما أنَّه لا يُغيِّر حقائقَ الأحكام الشرعيَّة بصفة عامَّة.

(١) انظر كتابنا: فقه الزكاة (٢٧٦/١ ـ ٢٨٤)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

فإذا حدث أن غلب عُـرف خاطئ على بعض الكلمـات، وأعطاها معاني جديدة غير معانيها الشـرعيَّة الأولى، فإنَّ هذا العُرف لا يُعتدُّ به؛ لأنَّ العُرف المعتبر هو الَّذي لا يُصادم الشـرع. فلو تعارف النَّاس على شـيء ما يرتكبونه، وكان مخالفًا للشـرع، فلو أنَّهم أجمعوا عليه، ومن المستحيل ذلك؛ لأنَّ هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، فلو فرضنا جدلًا أنَّه أجمع تسعون أو سـبعون في المائة منهم، وأقروا هذا الحرام، فهذا لا يجعل الحرام حلالًا، ولا يجعل الباطل حقًّا.

كلمات الإيمان والجهاد والشهيد وأمثالها:

هناك كلمات شـرعيَّة حرَّف بعض النَّاس معناهـا، وذهبوا بها بعيدًا عمَّا قصده الشرع بها، فكلمة «الإيمان» مثلًا، تعني في الشرع: التصديق الجازم بما جاء به مُحَمَّد ﷺ من الهدى ودين الحق. فإذا شاع في العُرف استعمال الإيمان في كل ما يُؤمَن به ولو كان من الشيوعية، فهو استعمال مردود. كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

وكلمة: «الجهاد» تعني في الشرع: بذل الجهد بالنفس والمال والوقت والراحة؛ لتكون كلمة الله هي العليا. فحين يأتي بعض النَّاس ويقول عن بعض الأشـخاص: المجاهد الكبير، ماذا يعمل هذا المجاهد؟ يمكن أن يكون مناضلًا في سبيل الماركسية أو العلمانية أو كذا وكذا، ممَّا لا صلة له بالدين، ويعتبر بعضهـم عمله جهادًا، بل جهادًا كبيـرًا أو أكبر، وهو ليس جهادًا بيقين.

والنبي ﷺ حين سئل عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حَمِيَّة

QaradawiBooks.com

(عصبيَّة لقومه)، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فأيهم في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[١].

وكلمة: «الشـــهيد» كذلك، كثيرًا ما تُبتـــذَل وتوضع في غير أهلها، وهي مرتبة دينيَّة كبيرة، حتَّى إنَّ النبي ﷺ سمع رجلًا يدعو ربه ويقول: اللهمَّ آتني أفضلَ ما آتيتَ عبـــادَكَ الصالحين! قال: «**إذنْ يُعقرُ جوادُك، وتُستشهدُ في سبيل الله**»[٢].

والقرآن الكريم يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]، فالشهيد بعد الصدِّيق، والصدِّيق بعد النبي. فهناك شهيد الدُّنْيا والآخرة: لمن قُتل في ســـبيل الله من المســـلمين في معاركَ مع الكفار المعتدين. وهناك شـــهيد الآخرة فقـــط، وهناك شـــهيد الدُّنْيا فقط. لكن رخُصت هذه الكلمة عنـــد بعض النَّـــاس، حتَّى قيل: الشـــهيد باتريس لومومبا[٣]! كان عبد الناصر يقول: الشهيد العظيم «لومومبا»، وهذا لوجود عرف خاطئ، ابتذل كلمة شهيد واسترخصها، حتَّى أصبحت تطلق على الموتى المشاهير من الشيوعيِّين والعلمانيِّين واللادينيِّين، وهذا مرفوض، فلا يجوز تغيير الألفاظ الشرعيَّة ودلالاتها، وكل تبديل أو تغيير في ذلك مرفوض، وإن كثر استخدامه في واقع الناس.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) رواه البزار (١١١٣)، وأبو يعلى (٧٦٩)، وابن خزيمـــة في الصلاة (٤٥٣)، الحاكم في الإمامة وصلاة الجماعة (٢٠٧/١)، وصحَّحه على شرط مســـلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥٢٥): رواه أبو يعلى والبزار بإســـنادين وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن مسلم بن عائذ وهو ثقة. عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) مناضل كونغولي اشتراكي، ناضل ضد الاحتلال البلجيكي لبلاده، واغتيل عام ١٩٦١م.

QaradawiBooks.com

معنى الولي والأولياء في النصوص وفي العُرْف:

ومن الألفاظ الشـرعيَّة الَّتي جاء بها القرآن والسُّنَّة، وشطح كثير من النَّاس في تحديد معانيها: لفظة «الولي» و«الأولياء».

فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، وجاء في الحديث الَّذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، عن ربه ﷻ، قال: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»[(١)].

فالأولياء في الآية، وفي الحديث إنَّما هـم المؤمنون المتَّقون، كما بيَّنت الآية الكريمة الثانية ذلك في جلاء ووضوح، فقد ذكرت أنّ أولياء الله هم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

فمرجع الولاية لله إلـى صحَّة العقيدة، المتمثِّلة فـي الإيمان، وإلى استقامة السـلوك المتمثِّلة في التَّقوى، والتَّقوى هي أمُّ الخيرات الدِّينيَّة، الَّتي تتمثَّل أوَّلَ ما تتمثَّل في تقـوى القلوب، وقد قال ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مُضْغة، إذا صَلَحت صَلَح الجسـدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**»[(٢)].

وقال: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسـادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

وأشار ﷺ إلى صدره، وقال: «**التقوى هاهنا**» وكرَّرها ثلاثًا[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والقرآن يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ويذكر القرآن عن سيدنا إبراهيم دعاءه لربه: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩].

والقلب السليم هو الَّذي سلم من كل الأمراض والآفات الكبرى والصغرى، من الشرك والكفر والنفاق، والكبر والعجب، والحقد والحسد والبغضاء، والرياء والبدع وغيرها، ممَّا يفسد على القلوب إيمانها، ويكدر عليها صفاءها.

وهذه الصفات والبشائر في شأن أولياء الله، تشبه ما جاء في آيات أُخر من سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

فالذين ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ هم أنفسهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾، ولا فرق إلَّا في العبارات، توضع مكان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّهم قالوها بألسنتهم وقلوبهم، ووضع مكان ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾، قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾. ولكن لم يرتب النَّاس على آيات فصِّلت ـ مع ما فيها من بشائر مفصَّلة في الدُّنْيا والآخرة ـ ما رتَّبوه على آيتي يونس.

فكلُّ مؤمنٍ تقيٍّ مستقيمٍ على أمر الله فهو وليٌّ، وهذا ما كان يعرفه الصحابة والتابعون: أنَّ المؤمنين المتَّقين هم أولياء الله، هناك أولياء الله،

QaradawiBooks.com

وهناك أعداء الله، ناس يوالون الله، وناس يعادون الله، ثمَّ استحدث النَّاس بعد ذلك عالمًا آخر من خيالهم، سموه: «عالم الأولياء»، وأصبح الولي هو من تقع الخوارق والكرامات على يديه في حياته، ولو بالإشاعات الباطلة. أو يُبنى له ضريح يُدفن فيه بعد وفاته.

وقد يكون هذا رجلًا مستقيمًا على أمر الله، مؤدِّيًا للفرائض، مجتنبًا للمحرمات، بل للشبهات والمكروهات، بل حريصًا على النوافل، بذَّالًا لله، داعيًا إلى الخير، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ولا يعدُّه النَّاس وليًا، ولا يُدخلونه في زمرة الأولياء؛ لأنَّه لم تقع على يديه كراماتٌ أو خوارق للعادات.

على حين تنظر لتاريخ الصحابة والتابعين ـ وهم من هم ـ قلَّ منهم من وقعت على يديه الخوارق أو ما اصطلح عليه بـ «الكرامات»! ألم يكن الصحابة ومن تبعهم بإحسان ممَّن رضي الله عنهم ورضوا عنه أولياء؟! بلى كانوا أولياء، بل هم صفوة الأولياء وإن لم تقع على أيديهم خوارق أو كرامات. فهذا المفهوم للولاية المرتبط بالخوارق والكرامات أمر استحدثه النَّاس، أمَّا المفهوم القرآني للولي، فهو كل من اتَّقى الله واستقام على أمره، فليس الأولياء كما يتصوَّر بعض النَّاس أُنَاسًا خارجين عن نطاق البشر المعتاد، بل هم ناس من الناس. كل ما يميزهم عن غيرهم: أنَّهم امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه.

لا بدَّ من معرفة الألفاظ والمصطلحات:

من المهم جدًّا أن نعرف أنَّ الأعراف الخاطئة لا تُغيِّر حكم الألفاظ الشرعيَّة، وقال الإمام الشهيد حسن البنَّا هنا: «يجب التأكُّد من حدود المعاني المقصودة بها».

QaradawiBooks.com

يعني: يجب أن نعرف مضامين الألفاظ الشرعيَّة الَّتي وردت في القرآن أو في السنة، وماذا يريد الشرع بها.

فمن الأشياء الَّتي ننادي بها دائمًا ما نطلق عليه: تحديد المفاهيم. النَّاس يختلفون أحيانًا في مفاهيم كثيرة، لو حُدِّدت المفاهيم فيها، لعله لا يوجد خلاف، لذا فعلماؤنا دائمًا يقولون: نريد تحرير موضع النزاع، أو تحرير المراد. وأحيانًا يكون الخلاف لفظيًّا، فيقولون لك: هذا خلاف لفظي، لا يترتب عليه ثمرة في النهاية.

ولذلك من المهم أن تُعرف المعاني المقصودة، وحدود هذه المعاني المقصودة بالمعاني المذكورة.

من هنا نجد بعضَ النَّاس يحاربوننا بأسماء معيَّنة، يسموننا بها، أو يطلقونها علينا، رغم أنوفنا: الرَّجعيَّة، أو الجمود، أو التحجُّر، أو كذا، ولكن ما هي الرَّجعيَّة؟ وما هو الجمود؟ وما هو التحجُّر؟ إن كان الجمود معناه التمسُّك بالقرآن والسُّنَّة والوقوف عند حدود الله تعالى، فنحن نقول: والله نحن أول الجامدين.

لا بدَّ أن نَعْرف ما هي الرَّجعيَّة، هل هي الرجوع إلى ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، كما أجمعت عليه الأمة، وقال ناظمها:

وكُلُّ خَيْرٍ في اتِّباعِ من سَلَفْ وكلُّ شَرٍّ في ابتداع من خَلَفْ[1]؟!

لا بدَّ من تحديد المراد بالألفاظ، ولا ترهبنا هذه الكلمات. فقديمًا كان المبتدعون يطلقون على أهل الحديث الألفاظ المذمومة عند النَّاس، فلم يبالِ أهلُ الحديث بهم، ومضوا في طريقهم.

(١) جوهرة التوحيد للقاني، انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ ٤٣٦، تحقيق د. عبد الفتاح البزم، نشر دار ابن كثير، دمشق.

QaradawiBooks.com

في إحدى المرَّات كنتُ أقول لجماعة: إن كانت الدعوة إلى الإسلام، وإلى إقامة دولته، وإلى إعلاء كلمته، وإلى توحيد أُمَّته، وإلى إقامة شريعته في الأرض، إذا كان هذا عندكم رجعيَّة، فأنا رجعيٌّ، وأدعو ربي: اللهم أحيني رجعيًّا، وأمتني رجعيًّا، واحشرني في زمرة الرجعيِّين! الأسماء لا تُخيفنا، إذا كانت مبنيَّة على أساس قرآني أو نبوي. المهم إذن: توضيح هذه الأمور، لا ترفض المضامين الجيِّدة بسبب الأسماء، الَّتي يتخوَّف منها النَّاس بغير حقٍّ.

ولذلك كان من الأشياء الَّتي استخدمها بعض النَّاس ضد دعوة الإخوان، وذلك منذ فجر الدعوة، ولقي الإمام الشهيد منها ما لقي: مسألة «السياسة»، أو مسألة «الدِّين والسياسة»، كلمة السياسة عند النَّاس لها إيحاء غير حسن، بعد أن جرَّب الناسُ السياسيِّين، وعرفوا من ألوان خداعهم ونفاقهم وكذبهم وتضليلهم للأُمَّة، وتقربهم إلى أعداء الدين وأعداء الأمة، أصبحت كلمة «السياسة» كلمة مكروهة، وأصبح النَّاس يستغلون هذه الكلمة، ويقولون عن الإخوان: هؤلاء يخلطون الدِّين بالسياسة.

إنكار بعض النَّاس لمعاني موجودة في الإسلام (الحُرِّيَّة):

ومن النَّاس من ينكر أشياء هي موجودة في الإسلام، وفي التراث الإسلامي، لعدم وجودها بهذا الاسم الَّذي يعرفه، وذلك مثل ما قال «لويس عوض»: إنَّ الإسلام لم يعرف الحرية بالمعنى الَّذي نعرفه الآن، فهذا معنى جاء من الثورة الفرنسيَّة، وجاءنا من الغرب، إنَّما التُّراث الإسلامي لم يكن يعرف الحُرِّيَّة إلَّا بمعنى: حُرِّيَّة الرقيق، تحرير العبيد.

ولا شكَّ أنَّ هذا الكلام يصحُّ لو كانت كلمة الحُرِّيَّة غير مستعملة إلَّا في هذا المعنى فقط، مع أنَّ هناك بعض أمثلة وأقوال، تدلُّ على

QaradawiBooks.com

أنَّها استعملت بمعنى الحُرِّيَّة السياسيَّة، مثل ما قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص أمام الملأ: متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أُمَّهاتهم أحرارًا[1]؟!

ففي مثل هذا المعنى، وجدت الحُرِّيَّة السياسيَّة، الَّتي يتغنَّى بها العالم، وأصبحت كلمة عمر تُفتتح بمعناها الدساتير ومواثيق حقوق الإنسان.

حتَّى بغض النظر عن هذا، انظر إلى المعنى المضمون والمحتوى: فالحُرِّيَّة الدينيَّة موجودة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. بل إنَّ الإسلام رفض قبول إيمان أي واحد يؤمن تحت أي ضغط، إيمان فرعون لما كان تحت ضغط الغرق لم يُقبل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۞ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١]، تقول آمنت ساعة الغرق؟! هذه ليست حُرِّيَّة، الإيمان المقبول هو الَّذي يأتي عن طواعية واختيار، تملك معه أن تقول: لا. وتملك أن تقول: نعم.

بل إنَّ الحرية السياسيَّة موجودة في الإسلام. فما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ هو أكثر من حُرِّيَّة؛ لأنَّ الأمر والنهي يكون واجبًا أحيانًا على فرد بعينه، إذا لم يوجد أحدٌ غيره ليقوم به. فإذا وجد غيره ممَّن يستطيع أن يقول الحقَّ، صار الأمر والنهي حقًّا له.

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

وكذلك الحُرِّيَّة المدنيَّة نجدها في الإسلام. فسيِّدنا عمر ـ وهو من هو في الحزم والشـــدة ـ كان يعُسُّ بالمدينة من الليل، فسمع صوتَ رجلٍ في بيت يتغنَّى، فتسوَّر عليه، فوجد عنده امرأة، وعنده خمرًا، فقال: يا عدو الله، أظننتَ أنَّ الله يســـتركَ وأنت على معصيته؟ فقال: وأنت يا أميرَ المؤمنين، لا تعجل عليَّ، إن أكن عصيتُ الله واحدة، فقد عصيت الله في ثلاث، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد تجسســـت، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد تسوَّرتَ عليَّ، ودخلتَ عليَّ من ظهر البيت بغير إذن، وقال الله ﷻ: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النـــور: ٢٧]، فقد دخلتَ بغير ســـلام. قال عمر رضي الله عنه: فهل عندك من خيـــر إن عفوت عنك؟ قال: نعـــم، والله يا أمير المؤمنين، لئن عفوت عَنِّي لا أعود لمثلها أبدًا. فعفا عنه، وخرج وتركه[1].

فهذا دليل على وجود الحُرِّيَّة في الإسلام والتراث الإسلامي.

العدالة الاجتماعية مضمون إسلامي:

وأحيانا يضلِّل النَّـــاس أنَّ اللفظ ليس موجـــودًا، المهم ليس اللفظ، المهم هل المعنى موجود أم ليس موجودًا؟

بعض النَّاس يقول: كلمة «العدالة الاجتماعية» كلمة من مستحدثَات هذا العصر!

قد تكون الكلمة غير موجودة، أمَّا مضمـــون العدالة الاجتماعية هل هو موجود في الإســـلام أم ليس موجودًا؟ قطعا هو موجود، بل موجود بكثرة ووفرة، في نصوص القرآن والسُّنَّة، وقد ألَّف فيه سيد قطب كتابه

(١) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٤٨)، عن ثور الكندي.

QaradawiBooks.com

«العدالة الاجتماعية في الإسلام»، وألَّف في معناه الشيخ مُحَمَّد الغزالي: كتبه: «الإسلام والأوضاع الاقتصادية»، و«الإسلام والمناهج الاشتراكية»، و«الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين».

كثيرة هي الأشـــياء الَّتي من هذا النوع، فينبغي أن نلاحظ هذا جيدًا، وممَّا نبه عليه الإمام الشهيد: أنَّه ينبغي معرفة الألفاظ والحدود المقصودة بها، والاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدُّنْيا والدين، وتحديد المفاهيم، وتحديد المصطلحات.

لا مُشاحَّة في الاصطلاح:

ولكن أيضًا ليس المقصود الجمود على مصطلحات معينة والمغالاة فيها حتَّى نجعل منها معركة فكرية، وقد قال علماؤنا في هذا الشـــأن كلمة قيمة، من شأنها أن تريح العُقلاء، قالوا: لا مشاحَّة في الاصطلاح. يعنون: أنَّه يمكن أن يصطلح بعض النَّاس على تسمية شيء، باســـم معين، ويصطلح غيرهم على تسميته باسم آخر، يقولون لك: لا مشاحَّة، أي: لا ينبغي أن يمنع بعضُ النَّاس البعضَ الآخر من استخدام مصطلح معين لمعنى تواضعوا عليه.

أنت تسمِّيه كذا، وأنا أسمِّيه كذا، المهم أن نتفاهم معًا، لا تستطيع أن تفرض عليَّ مصطلحك، ولا أستطيع أن أفرض عليك مصطلحي، حتَّى يوجد مصطلح يتفق عليه الجميع، أو الأغلبية.

هناك بعض النَّاس يتعصَّبون لمصطلحاتهم تعصُّبًا أعمى، مثل إخواننا في حزب التحرير، لهم مصطلحات خاصَّـــة، يريدون أن يفرضوها على البشريَّة كافة.

فعندهم لا تقل كلمة «مبادئ الإســـلام» تعني بها تعاليمه الأساسية. وعندما وضع الإمام المجدد أبو الأعلى المودودي كتابا ســـمَّاه: «مبادئ

QaradawiBooks.com

الإسلام» شرح فيه أوليات الإسلام الَّتي لا بدَّ منها، وتُرجم إلى عدد من اللغات، قالوا: هذا الاســم خطأ؛ لأن هناك ثلاثة مبادئ فقط في العالم، هناك مبدأ الرأسمالية، ومبدأ الشــيوعية، ومبدأ الإسلام، لكن ليس في الإسلام مبادئ.

قالوا: الإســلام مبدأ وليس مبادئ. ولكن من فرض أنَّه كذلك؟! إنَّه مصطلحك أنت، وأنت حــر في مصطلحك، لكنَّه لــم يصبح مصطلحًا عامًّا، حتَّى نفرضه على النَّــاس جميعًا، فلا هو حقيقة لغويَّة، ولا حقيقة شرعيَّة، ولا حقيقة عرفيَّة عامَّة، إنَّه حقيقة عُرفية عندك أنت خاصَّة.

وأيضا من ضمن الكلام الَّذي يقولونه: النظام الاجتماعي هو: العلاقة بين الرجل والمرأة فقط، أمَّا العلاقة ـ مثــلًا ـ بين الأغنياء والفقراء، أو العلاقة بين طبقــات المجتمع بعضها وبعض، أو كــذا وكذا، لا تدخل تحت مسمَّى النظام الاجتماعي؛ لأنَّ النظام الاجتماعي ما يتعلق بالأسرة فقط. وهذا مصطلح خاصٌّ أيضًا لا تستطيع أن تفرضه على النَّاس، سمِّه ما تسمِّيه، لا مشاحَّة في الألفاظ، وحسبنا أن نفهم ماذا تريد، قد يُسمِّي بعض النَّاس هذا أو نحوه: الأحوال الشَّخصيَّة ـ مثلًا ـ قد نقبل هذا وقد نرفضه، المهم حينما نتحدَّث نفهم ما يُســمَّى بالأحوال الشَّخصيَّة، قد تُسَمِّيه: فقه الأسرة، أو تُسَمِّيه: فقه الزواج والعلاقة بين الرجل والمرأة، أو كذا، وكذا.. إلخ.

تغيير الأسماء لا يُغيِّر الحقائق:

هذا ما يتعلَّق بموضوع «العُرْف»، أمَّا ما يتعلَّق بالألفاظ، فقد عبَّر عنه الإمام الشهيد بقوله: «والعُرْف الخاطئ لا يُغَيِّر حقائق الألفاظ الشرعيَّة، بل يجب التأكُّد من حدود المعاني المقصودة بها، والوقوف عندها، كما

QaradawiBooks.com

يجب الاحترازُ من الخداع اللفظي في كل نواحي الدُّنْيا والدين، فالعبرة بالمسمَّيات لا بالأسماء».

ولذلك كان من حديث النبي ﷺ قوله: «**ليشربنَّ ناسٌ من أمَّتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها**»[١].

فقول النبيِّ ﷺ: «**يُسمُّونها بغير اسمها**». أي: تسميتهم إيَّاها بغير اسمها، يسمُّونها: مشروبات رُوحيَّة، أو يُسَمُّونها: بيرة.. لا علاقة لنا بالاسم، المهمُّ أهي مُسْكِرة أم ليست مُسْكِرة؟ يُهِمُّني مضمونُها، فإذا كانت مُسْكِرةً فكلُّ مُسْكِر خمر.

قد يُسَمِّي النَّاس الربا: الفائدة، فهل إذا سمَّوه فائدة، هل معنى ذلك أنَّه أصبح حلالًا؟ لا، لا يصبح حلالًا بمجرَّد التسمية، كثير من المحرَّمات قد يُطلق عليها اسم غير اسمها، قد يكون الأمر بالعكس، الآن ـ مثلًا ـ في البنوك يُسَمُّون الأشياء الَّتي تستثمر: وديعة. والوديعة في الفقه لها مدلول مُعَيَّن[٢]، يختلف عن المستخدم في البنوك، والأولى أن يسمَّى: مضاربة، أو شيئًا من هذا القبيل.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٩٠٠)، وقال مخرِّجوه: المرفوع منه صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة مالك بن أبي مريم. أبو داود في الأشربة (٣٦٨٨)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٠)، والطبراني في الكبير (٢٨٣/٣)، وابن حبان في التاريخ (٦٧٥٨)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) يعرفها الفقهاء بأنها: أمانة تركت عند الغير للحفظ قصدًا. انظر: التعريفات للجرجاني صـ ٢٥١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، وانظر في الفرق بين الوديعة في اصطلاح الفقهاء، والوديعة في الاصطلاح الاقتصادي كتابنا: فوائد البنوك هي الربا المحرم صـ ٥٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

تغيير الأسماء أحيانًا يجعل الأمر المختلف فيه مجمعًا على قَبوله:

المهمُّ عندنا هو المسمَّيات لا الأسماء، العبرة بالمسمَّيات لا بالأسماء، فالأسماء قد تتغير. وقد يعطي النَّاس اسما سيئًا لمضمون حسن، أو العكس.

ولقد أشار صديقنا الإمام الربَّاني الأستاذ أبو الحسن الندوي إلى هذا المعنى بطريقته المتميِّزة في كتابه الرائع عن التصوُّف وأعلامه، والَّذي سمَّاه: «ربَّانيَّة لا رهبانيَّة»، فقد أشار في بداية كتابه إلى أنَّ «مصطلح التصوُّف» ارتبط بالخُرافة والتواكل والبِدَع، وهو ما جنى ذلك على حقيقة التصوُّف ومقصده، من طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والارتباط على الخير، وجعل بعض النَّاس يعرضون عن مجرد ذكر اسم التصوف، ولو أنَّه وُضِعَ له عنوان أو اسم آخر مثل «التزكية» أو «الإحسان»، لاتَّفق الجميع، وارتفع الخلاف. وسننقل نصَّ كلامه كاملًا فيما بعد.

المُهِمُّ أن تغيير الكلمة الَّتي فيها بعض الالتباس، أو يمكن أن تؤدي إليه، إلى كلمة أخرى، لا لبس فيها ولا غموض ولا خلل، قد يجعل الكلام مقبولًا عند من ينكره لمجرد اللفظ أو الكلمة، وإن كان في نفسه مقبولًا.

وأنَّه يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدُّنْيا والدين، ولا عبرة بالأسماء متى وضحت المسمَّيات.

إنَّنا نعلن هنا بكل جلاء وصراحة: أنَّنا لا نقبل المظاهر إذا غطَّت الحقائق، ولا نقبل الألفاظ الرقيقة إذا أخفت وراءها المعاني السيئة،

QaradawiBooks.com

ولا نقبل القشــور المزوَّقة إذا حجبت اللباب الحقيقي، ولا نقبل الدهان الظاهر، إذا غَشَّــى المَعْدِن الأصلي، ولا الزينة الجميلة إذا كانت تُزيِّف رؤية الوجه على حقيقته، ولا اللحية الطويلة إذا كان خلفها قلبٌ أسود، ولا الاسم الحلو إذا كان يُخفي وراءه مسمًّى أمرَّ من الصبر.

الشافعي وابن تيمية وابن القيم يَقبلون كلماتٍ شديدةً لصحة معناها:

ولقد ســخر الإمام الشــافعي في شــعره المرويِّ عنه من أنــاس حرَّفوا الكلمات عن معانيها، فأصبح مجرد النطق بها يُخيف من يسمعها، ولكنَّه ﵁ قال متحدِّيًا من يتهمُه بالرفض والتشيُّع، لمجرد أنَّه يحبُّ آل البيت:

إن كان «رفضًا» حــبُّ آل محمَّدٍ فليشــهد الثَّقلان أنِّي رافضِي[1]!

وشيخ الإسلام ابن تيمية له بيت أيضًا مقابلٌ لهذا، يرد فيه على من اتَّهمه بأنَّه ناصبي، يكره عليًّا ﵁ وآله:

إنْ كَانَ «نَصْبًا» حبُّ صَحْبِ مُحَمَّدٍ فليشــهد الثَّقلان أنِّي نَاصِبِي[2]!

وعلى هذا المنوال وجدنا تلميذ ابن تيمية وصاحبه ورفيق دربه، الإمام ابن القيم ﵀ يقول متحديًا من يتهمه بالظاهرية والتجسيم؛ لأنَّه يصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم، فيقول:

فإن كان تجســيمًا ثبوتُ صفاتِه وتنزيهُها عن كلِّ تكذيبِ مفترِي
فإنِّي بحمــد الله ربِّي مجسِّــمٌ فهاتوا شهودًا واملؤوا كلّ مَحْضَرِ[3]!

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٧١/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٨٧/٢)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٣) المصدر السابق نفسه.

QaradawiBooks.com

يعني: إذا كنتم تسمُّون مَن يُثبت لله تعالى أسماءَه وصفاتِه كما وردت في القرآن والسُّنَّة، لا يؤوِّل ولا يعطِّل ولا يشبِّه: مجسِّمًا، فأنا مجسِّم، بل أنا أول المجسِّمين!

غير مرخصة للطباعة

ويقول ابن القيم في «نونيته» الشهيرة، الموسومة بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» مشتكيًا من حال النَّاس، وأن أكثرهم لا يهتمُّون بالمعاني والمقاصد، بل هم محبوسون في سجن الألفاظ، إلَّا القليلين، الَّذين فتح الله أعين بصائرهم، فنظروا إلى الحقائق، ولم يقفوا عند الظواهر وأسوارها، الَّتي شغلت الكثيرين بل الأكثرين. يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

والناس أكثرُهم بسجن اللَّفْظِ مسْـ ـجونونَ خوفَ مَعرَّة السجَّانِ!
والكلَّ إلَّا الفرد يقبل مذهبًا في قالَبٍ ويردُّه في ثانِي[1]!

فمع اختلاف القوالب والصيغ، كم تختلف الأفكار والمعاني عند كثير من النَّاس، وكم يقبلون أمورًا إذا عُرضت بصيغة معيَّنة، ويرفضونها هي نفسها رفضًا مطلقًا إذا عُرضت في صيغة أخرى.

المسلم لا يُدخل نفسَه في تسمية أشياء لا علم له بها:

والإسلام حريص كل الحرص على استخدام اللفظة المناسبة في المقام المناسب، ولا يحب أن تُستخدم الألفاظ في معانٍ لا تمتُّ إليها، ولهذا رفض القرآن تسمية الأصنام والآلهة المدعوَّة من دون الله تعالى، وأنكر على من فعلوا ذلك، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٣].

(١) نونية ابن القيم صـ ٢٣٤، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ.

QaradawiBooks.com

كما أنكر القرآن على الَّذين يضعون الأسماء غير اللائقة لمن أطلقت عليهم، كما سمَّى المشركون الملائكة تسمية الأنثى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٧، ٢٨].

ومن هنا علَّم القرآن المسلم ألَّا يورط نفسه فيما لا علم له به، ويسمِّي الأشياء بما لا يليق بها، وهو لم يشهد خلقها، ولم يعرف حقيقتها، ولذلك لا ينبغي أن يدخل في تسميتها، إنَّما يسمِّيها مَن خلقها وسوَّاها.

ولذلك حرص رسولنا الكريم أن يبيِّن لنا الأسماء الَّتي يحبُّها الله تعالى، والأسماء الأخرى الصادقة في مفهومها اللفظي، والأسماء المكروهة الَّتي ينبغي للنَّاس الإقلاع عنها، فقال: «**أَحَبُّ الأسماء إلى الله عزَّ وجل: عبد الله وعبد الرحمٰن، وأصدقُها حارث وهمَّام، وأقبحها حربٌ ومُرَّة**»[1]. وبهذا عرفنا أنَّ كلمة «حرب» من الأسماء المكروهة عند رسول الله، وعند المؤمنين به.

ما يمكن أن يدخل فيه الاجتهاد:

أمَّا الأشياء الَّتي يمكن أن يدخل فيها الاجتهاد والتطوير، مثل: قضيَّة «الجزية» الَّتي تؤخذ من أهل الكتاب من الكفَّار الَّذين لم يدخلوا في

(١) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي.

QaradawiBooks.com

دين الإسلام، ومثلهم المجوس، وسائر الوثنيِّين الآخرين، كما هو مذهب الجمهور من الفقهاء، فهذه من القضايا القابلة للبحث، ويمكن لبعض الفقهاء أن يُدخلوها في الاستثناء الوارد في هذا الجانب.

وهذا ما ذكرناه عندما بحثنا في «فقه الزكاة»، ووجدنا بعض الفقهاء يستثنون من القواعد العامة أخذ الجزية من الكفَّار العرب، مثل بني تغلب، الَّذين كانوا نصارى، وطلبوا من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، أن يأخذ منهم ما يريد أخذه ـ ولو كان ضعف المأخوذ من المسلمين ـ ولكن باسم الصدقة، لا باسم الجزية، فرفض أول الأمر، ثمَّ قبل منهم، وقال: هؤلاء حمقى، رضوا المعنى، وأَبَوا الاسم[1]!

ولكن إباء الاسم قد يكون أمرًا مطلوبًا في نفسه؛ لأنَّه يحقق للمرء مطلبًا معنويًّا لا يقدره الكثيرون، ولكن من يحتاج إليه يُقَدِّره حق قَدْره.

أمران أكدهما البنا:

ونريد أن نؤكِّد هنا على أمرين أكدهما الإمام البنَّا في أصله المذكور، وهما:

أولًا: التأكُّد من حدود المعاني المقصودة بالألفاظ الشرعيَّة:

فكلُّ كلمة من الألفاظ الَّتي جاء بها الشرع الشريف، لها معناها، ولها حكمها، ويترتَّب عليها نتائجها. فالأصل في الأمر ـ وخصوصًا القرآني ـ أنَّه للوجوب، والنهي للتحريم، وأصل الخبر الصدق، والأصل في الكلام الصراحة، ولا مجال في ذلك لتغيير الكلام أو تأويله.

(١) الحاوي الكبير للماوردي (٣٤٦/١٤)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

فحين يقول الله في يوم الجمعة: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، فإن من الواجب السعي إلى المسجد وترك البيع، وإذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] فإن دلالة الآية على التحريم للخمر بائنة من أوجه عدة، منها: قرنها بالأنصاب والأزلام، واعتبارها رجسًا من عمل الشيطان، والأمر بالاجتناب، وترتيب الفلاح عليه، كلها دلائل على التحريم.

وكلمة: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، من أقوى الدلائل على ذلك، ولذلك اقترنت بالشرك والكبائر، كقوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى: ٣٧].

ثانيًا: الاحتراز من الخداع اللفظي في الدُّنْيا والدين:

كما أوجب الإمام البنَّا ضرورة الاحتراز من الخداع اللفظي في كل أمور الدُّنْيا والدين، وهو ما شرحناه في كل ما قدمناه، وهو واضح كل الوضوح، فنحن نُعنى بالحقيقة لا بالصورة، وباللُّباب لا بالقشر، وبالقاع لا بالسطح، وبالقلب لا بالوجه، وبالنار لا بالدخان، وبالإصابة لا بالفرقعة.

جناية بعض الأسماء على الحقائق:

وكثيرًا ما تجني الأسماء والمصطلحات، الَّتي يضعها البشر من عند أنفسهم، على حقائق الأشياء والأمور والقضايا، وذلك من عدة وجوه:

تقبُّل مضمونات فاسدة:

١ ـ منها أن يتقبَّل بعض النَّاس «مضمونًا» ضارًّا وفاسدًا، لو انكشفت لهم حقيقته من أول الأمر لأنكروه ورفضوه، ولكن ظهوره في إطارٍ

QaradawiBooks.com

لفظي برَّاق، وتسميته باسم محبَّب إلى قلوب البشر، يجعل كثيرًا منهم ينخدعون به ويتقبَّلونه، غير واعين لحقيقة محتواه.

وهذا كتسمية كثير من ألوان الانحراف عن منهج الله وهداه «تطورًا»، وتسمية كثير من أنواع الفساد الخلقي «تمدنا» أو «حرية شخصية» أو نحو ذلك من الألفاظ والكلمات، الَّتي أمسى لها رواج في سوق البشر. ورحم الله الشاعر إذ يقول في ذلك:

ما كان في ماضي الزمان محرَّمًا ... للناس في هذا الزمان مباحُ
صاغوا نعوتَ فضائلٍ لعيوبهم ... فتعذَّر التمييز والإصلاحُ
فالفتك فنٌّ، والخداع سياسة ... وغِنَى اللصوصِ براعةٌ ونجاح!
والعُري ظُرْفٌ، والفساد تمدُّنٌ ... والكذبُ لطفٌ والرياءُ صلاحُ!

رفض مضمونات صالحة:

٢ ـ ومنها أن يرفض بعض النَّاس مضمونًا صالحًا؛ لأنَّ اللفظ الَّذي يحمله مستنكر شرعًا أو عُرفًا أو لغة، أو يشوبه الغموض، أو الاحتمال، فهو محتمِل لأكثر من معنًى، وقابل لأكثر من تفسير. وربما كان بعض معانيه المحتملة غيرَ سائغ ولا مقبول.

ولو جاء هذا المضمون نفسه باسم آخر، ولفظ آخر، لحَظِيَ بالقبول، ولم يعترض أحد عليه.

وقد ضربنا مثلًا لذلك: لفظة «التصوُّف»، فقد حملت هذه الكلمة على مرِّ العصور، بعض المعاني السيِّئة، من السلبيَّة، والجبريَّة، والابتداع، والرضا بالشركيَّات المعروفة عند الوثنيَّات، وتقديس الأولياء، وتصديق الخرافات، إلى غير ذلك من المفاهيم والأخلاق والأعمال

QaradawiBooks.com

والأحوال. كما حملت من الناحية النظريَّة أفكارًا وعقائد مضادة للإسلام، كالحلول ووحدة الوجود ونحوها.

ومن هنا رفض بعض النَّاس «التصوُّف» جملة وتفصيلًا، وأنكر على المتصوِّفين كافة، حتَّى المعتدلين منهم، الوقَّافين عند الكتاب والسُّنَّة. مع أنَّ لدى هؤلاء ثروة غير ضئيلة في تربية الأنفس، وتطهيرها، وعلاج أمراض القلوب، وتخليتها من خبائث الرذائل، ومكارم الأخلاق، وحقائق الإيمان. وهذه الثروة الفكرية الروحية لا غنى عنها لداعية أو مربٍّ، يريد أن يقود النَّاس إلى الله، ويشُدُّهم إلى ساحة رضاه.

يقول الرجل الرباني الداعية الكبير أبو الحسن الندوي في كتابه: «ربانية لا رهبانية»: «إنَّ للمصطلحات والأسماء الشائعة بين النَّاس للأشياء جناية على الحقائق، ولهذه الجناية قصة طويلة في كلِّ فنٍّ ولغة، وفي كلِّ أدبٍ ودين، فإنها تولد كائنًا آخر تنشأ عنه الشبهات، وتشتدُّ حوله الخصومات، وتتكون فيه المذاهب، وتُستخدم لها الحجج والدلائل، ويَحْمَى فيها وطيسُ الكلام والخصام.

فلو عدلنا عن هذه المصطلحات المُحدثة، وعن هذه الأسماء العرفيَّة، ورجعنا إلى الماضي، وإلى الكلمات الَّتي كان يعبِّر بها النَّاس عن هذه الحقائق في سهولة وبساطة، وإلى ما كان ينطق به رجال العهد الأول، والسلف الأقدمون؛ انحلَّت العُقدة، وهان الخطب، واصطلح الناس.

ومن هذه المصطلحات والأسماء العرفيَّة الَّتي شاعت بين النَّاس «التصوف»، ومن هنا ثارت أسئلة وبحوث، وتساءل الناس: ما مدلول الكلمة وما مأخذها؟ هل هو من الصوف، أو من الصفاء، أو من الصفو، أو هي مأخوذة من الكلمة اليونانية «صوفيا» ومعناها: «الحكمة»؟

QaradawiBooks.com

ومتى حدثت هذه الكلمة؟ ولم نعرف لها أثرًا في الكتاب والسُّـنَّة، وما جاءت في كلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، وما عُرفت في خير القرون، وكل ما كان هذا شأنه، فإنه من البدع المحدثة، وقد حميت المعركة بين أصدقائه وخصومه، والموافقين والمعارضين، حتَّى تكوَّنت بذلك مكتبة كبيرة، يصعب استعراضها.

أمَّا إذا عَدَلنا عن هذا المصطلح الَّذي نشأ وشـاع في القرن الثاني، ورجعنا إلى الكتاب والسُّنَّة وعصر الصحابة والتابعين، وتأمَّلْنا في القرآن والحديث، وجدنا القرآن ينوه بشُعْبة من شعب الدين، ومهمَّة من مهمَّات النبوَّة، يعبِّر عنها بلفظ «التزكية»، ويذكرها كركن من الأركان الأربعة الَّتي بعث الرسـول الأعظم ﷺ لتحقيقها وتكميلها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وهي تزكية النفـوس وتهذيبهـا وتحليتها بالفضائـل وتخليتها من الرذائل، التزكية الَّتي نرى أمثلتها الرائعـة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم، وإخلاصهـم وأخلاقهم، والتـي كانت نتيجتها هـذا المجتمع الصالح الفاضل المثالي، الَّذي ليس له نظير في التاريخ، وهذه الحكومة العادلة الراشدة الَّتي لا مثيل لها في العالم.

ووجدنا لسـان النبوة يلهج بدرجة هي فوق درجة الإسلام والإيمان، ويعبر عنها بلفظ: «الإحسان»، ومعناه كيفية من اليقين والاستحضار يجب أنْ يعمل لها العاملون، ويتنافس فيها المتنافسـون، فيُسـأل الرسـول ﷺ ما الإحسان؟ فيقول: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

(١) متَّفق عليه رواه البخاري (٥٠)، مسلم (٨)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ووجدنا الشريعة وما أُثر عن الرسول ﷺ من الأقوال والأحوال ودُوِّن في الكتب ينقسم بين قسمين: أفعال وهيئات وأمور محسوسة، كقيام وقعود، وركوع وسجود، وتلاوة وتسبيح، وأدعية وأذكار، وأحكام ومناسك، قد تكفَّل بها الحديث رواية وتدوينًا، والفقه استخراجًا واستنباطًا، وقام بها المحدثون والفقهاء جزاهم الله عن الأُمَّة خيرًا، فحفظوا للأمة دينها، وسهَّلوا لها العمل به.

وقسم آخر هو: كيفيات باطنيَّة كانت تصاحب هذه الأفعال والهيئات عند الأداء، وتُلازمُ الرسول ﷺ قيامًا وقعودًا، وركوعًا وسجودًا، وداعيًا وذاكرًا، وآمرًا وناهيًا، وفي خَلوة البيت، وساحة الجهاد، وهو الإخلاص والاحتساب والصبر والتوكل والزهد، وغنى القلب والإيثار والسخاء، والأدب والحياء والخشوع في الصلاة، والتضرُّع والابتهال في الدعاء، والزهد في زخارف الحياة، وإيثار الآخرة على العاجلة، والشوق إلى لقاء الله، إلى غير ذلك من كيفيات باطنيَّة، وأخلاق إيمانية هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد، والباطن من الظاهر.

وتندرج تحت هذه العناوين تفاصيل وجزئيات، وآداب وأحكام، تجعل منها علمًا مستقلًّا، وفقهًا منفردًا، فإن سُمِّي العلم الَّذي تكفَّل بشرح الأول وإيضاحه وتفصيله والدلالة على طرق تحصيله: فقه الظاهر؛ سُمي هذا العلم الَّذي يتكفَّل بشرح هذه الكيفيات، ويدل على طرق الوصول إليها: فقه الباطن»[1] اهـ.

(١) ربانية لا رهبانية لأبي الحسن الندوي صـ ٨ ـ ١١، نشر دار الفتح، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

إنكار بعض الحقائق الثابتة لورودها بغير أسمائها المتداولة:

٣ ـ ومنها: أن ينكر بعض النَّاس «مفهومًا» معيَّنًا في الدين، أو في العلم، أو في التاريخ؛ لأنَّ الاسم أو المصطلح المعروف به في عصرهم لم يكن معروفًا من قبل، وإن كان المعنى والمضمون قائمًا وموجودًا باسم آخر، وتحت عنوان آخر.

وهذا ما جعل بعضهم يقول ـ كما ذكرنا من قبل ـ عن جهل أو سوء نية: إنَّ الحرية بمعناها العصري لم تعرف عند المسلمين من قبل، وإنَّما هي مفهوم جديد، جاءنا مع الحضارة الغربية الوافدة مع الاستعمار.

وقائل هذا الكلام إنَّما ينظر إلى كلمة «الحرية» لا إلى مضمونها. ولو أنصف وتأمل حياة المجتمع الإسلامي الأول، لتبيَّن له أنَّ الحرية الحق كانت دعامة من دعائمه. لا شك فيها، ولا خلاف عليها.

فحرية الاعتقاد، وحرية التعبد، وحرية الفكر، وحرية النقد، وحرية التعاقد، وحرية التنقل، والحرية الاقتصادية، والحرية السياسيَّة، كلها كانت موفورة، بمقتضى نصوص الشريعة وقواعدها، وبموجب تقاليد المجتمع وآدابه، الَّتي نشأت في أحضان الشريعة، وبوحي من العقيدة.

ويدخل في ذلك قول بعضهم: إنَّ القرآن لم يُعْنَ بالشريعة، بدليل أن هذه الكلمة «شريعة» لم ترد بهذا اللفظ في القرآن إلَّا مرَّة واحدة، وفي القرآن المكي في سورة الجاثية، وذلك في قوله تعالى خطابًا لرسوله الكريم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

فهم يتَّخذون من عدم تكرار هذه الكلمة في القرآن دليلًا على عدم أهميَّة الأحكام الشرعيَّة العمليَّة في الدين.

QaradawiBooks.com

ولو كان الأمر كما زعموا وتصوَّروا، لوجب أن نقول: إنَّ القرآن لم يُعْنَ بالعقيدة قط؛ لأنَّ كلمة «العقيدة» لم تُذكر في القرآن إطلاقًا، ولا مرَّة واحدة.

ولوجب أن نقول أيضًا: إنَّ القرآن لم يُعْنَ بالأخلاق؛ لأن كلمة «أخلاق» لم تذكر في القرآن إلَّا مرَّة واحدة في الثناء على النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وهذا لا يقبله مسلم ولا عاقل قرأ القرآن، وإنَّما أوقع في ذلك الجري وراء الألفاظ والكلمات، الَّتي استحدثها النَّاس بعد نزول القرآن، وأصبحت تحمل مدلولات معيَّنة.

إنَّما الواجب أن نبحث عن «المضامين» في القرآن، فنجد أنَّ القرآن قد حفل بقضايا العقيدة في الله تعالى، وفي الآخرة وجزائها، وفي الرسل والنبوَّات، وفي الملائكة والكتب، كما حفل بالأخلاق والقيم فضائلَ مأمورًا بها، ورذائل منهيًّا عنها.

ومثل ذلك: الأحكام الشرعيَّة الَّتي جاءت لتنظيم الحياة العمليَّة للناس: أفرادًا، وأُسرًا، وجماعات، ودُوَلًا، على طريقة القرآن في الإجمال والتزكية، إلَّا في قضايا لها أهميَّة خاصَّة، كما في بعض شؤون الأسرة والمواريث، وفي «أحكام القرآن» صُنِّفت كتبٌ لعلماء كبار في مختلف المذاهب.

تعبُّد بعض النَّاس بالمصطلحات:

٤ ـ ومن جناية الأسماء والمصطلحات الوضعية على بعض الناس: أنَّهم يسجنون أنفسهم في داخلها، وهم الَّذين وضعوها وصنعوها. ولا يكتفون بذلك، بل يريدون من سائر النَّاس أن يدخلوا معهم في ذلك

QaradawiBooks.com

المضيق، وألَّا يستعملوا إلَّا مصطلحهم الَّذي انفردوا هم به، ناسين قول علمائنا قديمًا: «لا مشاحَّة في الاصطلاح».

وأذكر من أمثلة ذلك: ما قصصناه من قبل، وهو أنَّ بعضهم أنكر استعمال كلمة «مبادئ الإسلام»، وهي كلمة جارية على ألسنة العلماء والكُتَّاب والدعاة وأقلامهم.

والذي أنكر استعمال كلمة مبادئ الإسلام بمعنى تعاليمه وأصوله العامة، يقول: إنَّه ليس في الدُّنْيا إلَّا مبادئ ثلاثة: الرأسمالية، والشيوعية، والإسلام. فالإسلام مبدأ وليس مبادئ. وهذا تصورهم وحدهم، ولم يُجمع النَّاس عليه.

ومثل ذلك ما ذكرناه من قبل، وهو: قصرهم كلمة «النظام الاجتماعي» على ما ينظم العلاقة بين الرجل والمرأة. وما عدا ذلك من علاقة الجار بالجار، والقريب بالقريب، والرئيس بالمرؤوس، والغني بالفقير، والطبقات الاجتماعية بعضها ببعض، ونحو ذلك؛ فليس هذا من «النظام الاجتماعي» وإن قلت ذلك بلسانك، أو سطَّرته بقلمك، فقد قلت منكرًا من القول وزُورًا.

وهذا في الواقع ليس إلَّا ضربًا من التعصُّب المنكر، والتزمُّت القبيح، والجمود على ألفاظ ومصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، فلا نطق بها الوحي، بحيث تصبح «حقيقة شرعيَّة»، ولا جاءت بها اللغة بحيث تعد «حقيقة لغويَّة»، ولا تعارف عليها جماهير النَّاس بحيث تصبح «حقيقة عرفيَّة عامَّة»، ولا اصطلح عليها أهل علم أو فن خاص، كأهل النحو أو المنطق أو الفقه أو الكلام أو الفلسفة أو التصوُّف ـ مثلا ـ فتصبح «حقيقة عرفيَّة خاصَّة»، أو «اصطلاحية».. وإذن ليس لأحد أن يُلزِم بمثل هذا المصطلح غيره من النَّاس، بل يلزم كل الناس.

QaradawiBooks.com

الدين والسياسة:

ويوم قامت دعوة الإخوان المسلمين تدعو النَّاس إلى إقامة دولة الإسلام، وتحكيم شريعة الإسلام، واستعادة وحدة الإسلام، أطلق بعض الماكرين على هذه الدعوة اسمًا له في أذهان النَّاس إيحاء غير جميل. ذلك الاسم هو «السياسة» الَّتي كانت ترتبط في مخيلة النَّاس بالكذب والإخلاف والنفاق، والجري وراء المناصب والسلطان. فإذا جاز لبعض أهل الدُّنْيا أن يشتغلوا بها، ويصْلَوْا نارها، ويتلوَّثوا بطِينها وأوحالها، فإن أهل الدين يجب أن يتنزَّهوا عنها، ويبتعدوا عن الخوض فيها.

وبهذا التفسير الماكر اللئيم، أراد الجبناء أنْ يشوِّهوا الدعوة الإسلاميَّة الشاملة بدمغها بكلمة «سياسة».

ولكن الشهيد حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ، قاوم هذا المكر بلسانه وقلمه، وفكره وعلمه، وردَّ هذه الحملة المضلِّلة الخائنة مذؤومة مدحورة. وكان ممَّا قاله في رسالة «بين الأمس واليوم»: «إذا قيل لكم ـ أيُّها الإخوان ـ إلام تدعون؟ فقولوا: ندعو إلى الإسلام الَّذي جاء به مُحَمَّد ﷺ، والحكومة جزء منه، والحرية فريضة من فرائضه.

فإن قيل لكم هذه سياسة! فقولوا: هذا هو الإسلام، ونحن لا نعرف هذه الأقسام!»[1].

وممَّا قاله في رسالة «إلى أي شيء ندعو الناس؟»:

«ويقول قوم آخرون: إنَّ الإخوان المسلمين قوم سياسيُّون، ودعوتهم سياسيَّة، ولهم من وراء ذلك مآربُ أخرى... يا قومنا: إنَّنا نناديكم

(١) رسالة بين الأمس واليوم ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا صـ ١١٠.

QaradawiBooks.com

والقرآن في يميننا، والسُّنَّة في شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام، وتعاليم الإسلام، وأحكام الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيًّا، فنحن أعرق النَّاس والحمد لله في السياسة، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة، فقولوا ما شئتم، فلن تضرَّنا الأسماء متى وضحَّت المسمَّيات، وانكشفت الغايات»[1].

من خداع الأسماء في هذا العصر:

ومن خداع الأسماء: تسمية الدعوة إلى الإسلام «رجعيَّة»، أو «تقليدًا» أو «جمودًا»، أو نحو ذلك، وتسمية دعاتها «الرجعيِّين»، أو «المُقَلِّدين»، أو دعاة «القديم» وما شابه ذلك من الألقاب والأوصاف.

على حين يُسمَّى دعاة «التَّفَرنُج» و«التأورب» و«التمركس» و«التغريب»: «تقدميين»، أو «مجدِّدين»، أو دعاة «الجديد»، ونحو ذلك.

وهذه التسميات كما قال الدكتور مُحَمَّد محمّد حسين: «خادعة وظالمة للحقيقة. فالجديد هو في حقيقة الأمر قديم الأوربيين، والذين يسمُّونهم المقلِّدين كانوا هم الَّذين يقلِّدون آباءهم وأجدادهم، في حين أن ممَّن يُسمَّوْن بالمجدِّدين كانوا هم الَّذين يقلدون الأوربيين...

ثمَّ إنَّ من ظلم هذه التسميات وخداعها: أنَّ النفس تنفر ممَّا يحمل اسم «القديم»؛ لأنَّه يصوِّر الضعف والبِلَى وذهاب الرَّونق، وأنَّها تقبل على ما يحمل اسم «الجديد»؛ لأنَّه يوحي بالفُتُوَّة والشباب، وبكل ما يصاحبها من معاني التدفُّق والنشاط والبشاشة...

(١) رسالة إلى أي شيء ندعو الناس ضمن مجموعة الرسائل صـ ٣٧.

QaradawiBooks.com

ولذلك كان مجرد تسمية ما ورثناه من دين ومن تقاليد بالقديم خليقًا أن يصرف النَّاس عنه، وكان مجرد تسمية كل بدْع طارئ بالجديد خليقا أن يجذب النَّاس إليه. فالتسمية في نفسها الَّتي أطلقتها الصحف وروجتها وأذاعتها حتَّى أصبحت هي سبيل النَّاس المألوف للتعبير عن المذهبين، تسمية خبيثة غير بريئة، وغير منصفة للحقيقة»[1].

وإذا كان عامة النَّاس ينخدعون بالأسماء والألقاب، ويتأثَّرون بها، فعلى حامل الدعوة الإسلاميَّة أن يحذر من هذا الخداع اللفظي، وأن يدقِّق دائمًا في مفاهيم الكلمات ذات المدلولات الخطيرة، حتَّى يعرف ماذا تدل عليه بوضوح وتحديد.

بلوى الوقوف مع الظواهر:

ومنهجنا الَّذي هدانا الله إليه، لفهْم الإسلام على حقيقته، وفهْم النَّاس على حقيقتهم، هو النظر إلى المقاصد، وليس الوقوف عند الظواهر وحرفية النصوص، فهذا قد يُضلُّنا عن سواء السبيل.

قال ابن القيم: «وما مثل من وقف مع الظواهر والألفاظ، ولم يراعِ المقاصد والمعاني، إلَّا كمثل رجل قيل له: لا تسلِّم على صاحب بدعة. فقبَّل يده ورِجْله، ولم يسلم عليه! أو قيل له: اذهبْ فاملأ هذه الجَرَّة. فذهب فملأها، ثمَّ تركها على الحوض، وقال: لم تقل ائتني بها! وكمن قال لوكيله: بعْ هذه السلعة. فباعها بدرهم، وهي تساوي مائة! ويلزم من وقف مع الظواهر أن يُصحِّح هذا البيع، ويُلزم به المُوكِّل، وإن نظر إلى المقاصد تناقض حيث ألقاها في غير موضع.

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين (٢٠٠/٢)، نشر مكتبة الآداب، مصر، ط٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

وكمن أعطاه رجلٌ ثوبًا فقال: والله لا ألبسه لما له فيه من المِنَّة. فباعه وأعطاه ثمنه، فقبله! وكمن قال: والله لا أشرب هذا الشراب. فجعله عقيدًا[١]، أو ثرد فيه خبزًا وأكله! ويلزم من وقف مع الظواهر والألفاظ ألَّا يحدَّ من فعل ذلك بالخمر.

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن من الأُمَّة من يتناول المحرَّم ويسمِّيه بغير اسمه، فقال: «**ليشربنَّ ناسٌ من أمتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنِّيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير**» رواه أحمد وأبو داود[٢].

وفي مسند الإمام أحمد مرفوعًا: «**يشرب ناس من أمتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها**»[٣]. وفيه عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ: «**يشرب ناس من أمَّتي الخمر باسم يسمُّونها إياه**»[٤].

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي أمامة يرفعه: «**لا تذهب الليالي والأيام حتَّى تشرب طائفةٌ من أمَّتي الخمر، يسمُّونها بغير اسمها**»[٥].

قال شيخنا ـ ابن تيمية ـ رضي الله عنه: وقد جاء حديث آخر يوافق هذا مرفوعًا وموقوفًا من حديث ابن عباس: «**يأتي على النَّاس زمان يُستحلُّ فيه خمسة أشياء بخمسة أشياء: يستحلُّون الخمر باسم يسمُّونها إياه، والسُّحْت بالهدية، والقتل بالرهبة، والزنى بالنكاح، والربا بالبيع**». وهذا

(١) العقيد الشراب الذي يوضع على النار حتى ينعقد ويخثر.
(٢) سبق تخريجه صـ٤٤.
(٣) رواه أحمد (١٨٠٧٣) بنحوه، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الأشربة (٥٦٥٨)، واللفظ له، وصحَّحه الألباني في الجامع الصغير (٩٥٨٤)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.
(٤) رواه أحمد (٢٢٧٠٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه في الأشربة (٣٣٨٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٣٠).
(٥) رواه ابن ماجه في الأشربة (٣٣٨٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٢٩).

QaradawiBooks.com

حق؛ فإن استحلال الربا باسم البيع ظاهر، كالحِيَل الربوية الَّتي صورتها صورة البيع، وحقيقتها حقيقة الربا، ومعلـــوم أنَّ الربا إنَّما حرم لحقيقته ومفسدته، لا لصورته واسمه، فهبْ أنَّ المرابي لم يسمِّه ربًا، وسمَّاه بيعًا (أو فائدة)، فذلك لا يخرج حقيقته وماهيته عن نفســها، وأمَّا استحلال الخمر باســم آخر، فكما اســتحل من استحلَّ المُســكِر من غير عصير العنب، وقال: لا أســمِّيه خمرًا، وإنَّما هو نبيذ! وكما يستحلُّها طائفة من المُجَّان إذا مُزجت ويقولون: خرجت عن اســم الخمر، كما يخرج الماء بمخالطة غيره له عن اسم الماء المطلق! وكما يستحلُّها من يستحلُّها إذا اتخذت عقيــدًا، ويقول: هذه عَقيــدٌ لا خمر! ومعلــومٌ أنَّ التحريم تابع للحقيقة والمفســدة، لا للاســم والصورة؛ فإن إيقاع العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، لا تزول بتبديل الأســماء والصور عن ذلك، وهل هذا إلَّا من سوء الفهم، وعدم الفقه عن الله ورسوله؟

وأمَّا استحلال السُّحْتِ باسم الهدية، وهو أظهر من أن يذكر، كرشوة الحاكم والوالي وغيرهما، فإنَّ المرتشــي ملعون هو والراشــي؛ لما في ذلك من المفســدة، ومعلوم قطعًا أنهما لا يخرجان عن الحقيقة وحقيقة الرشوة بمجرد اسم الهدية، وقد علمنا وعلم الله وملائكته ومن له اطلاع إلى الحيل أنَّها رشوة.

وأمَّا استحلال القتل باسم الإرهاب الَّذي تسمِّيه ولاةُ الجور سياسة وهيبة وناموسًا وحرمة للمُلك، فهو أظهر من أن يذكر.

وأمَّا استحلال الزنى باسم النكاح فهو الزنى بالمرأة الَّتي لا غرض له أن يقيم معهــا، ولا أن تكون زوجته، وإنَّمــا غرضه أن يقضي منها وَطَره، أو يأخذ جُعْلا على الفساد بها، ويتوصَّل إلى ذلك باسم النكاح

وإظهار صورته، وقد علم الله ورسوله والملائكة والزوج والمرأة أنَّه محلِّل لا ناكح، وأنَّه ليس بزوج، وإنَّما هو تيسٌ مستعار للضراب، بمنزلة حمار العُشْرِيِّينَ»[1].

مصطلح الجماعة وما فيه من تفسيرات مختلفة:

ومن هذه المصطلحات الَّتي يعرض لها سوء الفهم: مصطلح «الجماعة» الَّذي جاء في عدد من الأحاديث الأمر بلزومها، وأن يد الله عليها ومعها، وأن من شذ عنها شذ إلى النار، وأن من فارقها شبرًا أو قِيدَ شبرٍ، فمات كانت ميتة جاهلية، أو خلع رِبْقة الإسلام من عنقه، إلى آخر ما ورد من أحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد.

فبعض أتباع الجمعيات أو الجماعات أو الأحزاب الإسلاميَّة، ربما فهم منها أو أفهمه بعض الناس: أن جماعته هي المقصودة بهذه الأحاديث، وأن من فارقها حُقَّ عليه ما جاء في النصوص من مِيتة الجاهلية وما يتبعها.

وهذا أمر في غاية الخطورة، فكل جماعة تعتقد أنَّها هي المرادة، فتصبح هي البديل للأمة الَّتي لا تجتمع على ضلالة.

ومن أجل هذا ثار في بعض الجماعات والهيئات الإسلاميَّة في بعض الأوقات سؤال انقسم أعضاؤها في الإجابة عنه، إلى فريقين متعارضين، هذا السؤال هو: هل نحن جماعة المسلمين أو نحن جماعة من المسلمين؟

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٣/٩٤، ٩٥).
وحمار العُشْرِيِّين: هو الحمار الذي يُكترى أو يستعار للنزو والضراب.

QaradawiBooks.com

ولا يرتاب الباحث المنصف في أنَّ أي مجموعة من الأمة مهما عظُم شأنها حدَّدت أهدافها ومناهجها للعمل للإسلام والتمكين له في الأرض؛ ليست هي جماعة المسلمين، بل هي جماعة منهم.

وللإمام أبي إسحاق الشاطبي هنا تحقيق يجب أن ننقله عنه، ونوضِّحه للنَّاس، حتَّى يتضح مفهوم «الجماعة»، ذكره وهو يتحدث عن حديث افتراق الأمة، والفرقة الناجية منها، وذلك في كتابه الفريد، الَّذي لم يُكمله، وهو: «الاعتصام»، الَّذي حقَّقه المجدِّد المعروف السيد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، على نسخة واحدة، فكان فيه كثير من الكلمات الناقصة والمطموسة وغير الواضحة، والتي استعصى فهمها على الكثيرين، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «رواية من روى في تفسير الفرقة الناجية: وهي الجماعة، محتاجة إلى التفسير؛ لأنَّه إن كان معناه بيِّنا من جهة تفسير الرواية الأخرى ـ وهي قوله: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[1] ـ فمعنى لفظ: الجماعة من حيث المراد به في إطلاق الشرع محتاج إلى التفسير.

فقد جاء في أحاديث كثيرة، منها الحديث الَّذي نحن في تفسيره، ومنها ما صح عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شيئًا فمات مات مِيتة جاهلية**»[2].

وصحَّ من حديث حذيفة، قال: قلتُ: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**». قلت:

---

(١) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٤١)، وقال: مُفَسّر غريب. عن عبد الله بن عمرو. وانظر تخريج الحديث والكلام عليه في كتابنا: الصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤ ـ ٣٨، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٩).

QaradawiBooks.com

وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنُّون بغير سنتي، ويهدُون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: «**هم من جلدتنا، ويتكلَّمون بألسنتنا**». قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتَّى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[(١)].

وخرج الترمذي والطبري عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بن الخطاب ﷺ بالجابية، فقال: إنِّي قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: «**أوصيكم بأصحابي، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ يفشو الكذب، حتَّى يَحلِف الرجل ولا يُسْتحلف، ويَشهَد ولا يُستَشهد، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، لا يخلُونَّ رجل بامرأة، فإنه لا يخلونَّ رجل بامرأة إلَّا كان ثالثهما الشيطان، الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنَّة، فليلزم الجماعة، ومن سرَّتْه حسنته، وساءته سيئته، فذلك هو المؤمن**»[(٢)].

وفي الترمذي عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار**»[(٣)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧).

(٢) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم في العلم (١١٣/١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١١١٦).

(٣) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، دون قوله: «ومَن شذَّ شذَّ في النار». وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣)، ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان =

QaradawiBooks.com

وخرَّج أبو داود عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فارق الجماعة قِيدَ شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»[(١)].

وعن عَرْفَجة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون في أمتي هَنَات وهَنَات، فمن أراد أن يُفرِّق أمر المسلمين وهم جميعٌ**[(٢)] **فاضربوه بالسيف كائنًا من كان**»[(٣)]».

= عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلَّا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: في تخريج المختصر، حديث غريب خرَّجه أبو نعيم في الحلية واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح لكنَّه معلول. فقد قال الحاكم: لو كان محفوظًا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال. فذكرها، وذلك مقتضى للاضطراب والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد صـ ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.

قلتُ: ولكن هناك من الدلائل ما يشهد لهذا الحديث، منها قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. فوجود هذه الأمة الهادية بالحق، يمنع أن تجتمع على ضلالة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ومنها قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]. ومنها أحاديث الطائفة القائمة على الحق إلى قيام الساعة، التي سماها العلماء: (الطائفة المنصورة). فليُعلمْ هذا.

(١) رواه أحمد (٢١٥٦١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في السنة (٤٧٥٨)، عن أبي ذر.

(٢) أي: مجتمعون. قال ابن الأثير في النهاية (٢٧٩/٥)، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م: «ستكون هنات وهنات، فمن رأيتموه يمشي إلى أمة محمد ﷺ، ليفرِّق جماعتهم فاقتلوه». والهنات: شرور وفساد. يقال في فلان هَنَات، أي: خصال شر. ولا يقال في الخير، وواحدها هَنْت، وقد تجمع على هَنَوات، وقيل: واحدها هَنَة تأنيث هَن، وهو كناية عن كل اسم جنس اهـ.

والظاهر ممَّا في النهاية وغيرها: أنَّه لم يرد هُنَيَّات بالتصغير، وحديث عرفجة رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٢)، بلفظ: «إنَّه ستكون هنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع». إلى آخر ما هنا. (رشيد رضا).

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٢)، وأحمد (١٨٢٩٥)، وأبو داود في السنة (٤٧٦٢).

QaradawiBooks.com

قال الشـــاطبي: «اختلف النَّاس في معنى «الجماعة» المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال:

القول الأول: الجماعة هي السواد الأعظم من أهل الإسلام:

أحدها: أنَّها الســـواد الأعظم من أهل الإســـلام، وهو الَّذي يدلُّ عليه كلام أبي غالب: إنَّ السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية. سواء خالفهم في شيء من الشريعة، أو في إمامهم وسلطانهم. فهو مخالف للحق.

وممن قـــال بهذا ـ أي مـــن الصحابة ـ أبو مســـعود الأنصاري وابن مسعود، فرُوِيَ أنَّه لما قتل عثمان سئل أبو مسعود الأنصاري عن الفتنة، فقال: عليـــك بالجماعة، فإنَّ الله لـــم يكن ليجمع أمـــة مُحَمَّد ﷺ على ضلالة، واصبر حتَّى تستريح أو يستراح من فاجر[1]. وقال: إياك والفرقة، فإنَّ الفرقة هي الضلالة. وقال ابن مسعود: عليكم بالسمع والطاعة، فإنها حبل الله الَّذي أمر به. ثمَّ قبض يده وقال: إنَّ الَّذي تكرهون في الجماعة خيرٌ من الَّذي تحبُّون في الفُرْقة[2].

وعن الحسين قيل له: أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ؟ فقال: أي والَّذي لا إلٰه إلَّا هو، ما كان الله ليجمع أمة مُحَمَّد على ضلالة.

فعلى هذا القول يدخل فـــي الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن ســـواهم داخلون في حكمهم؛ لأنَّهم تابعون

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٨٧٧٠)، والحاكم (٥٠٦/٤)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٤٩٢)، والآجري في الشريعة (١٧).

QaradawiBooks.com

لهم، ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الَّذين شذُّوا، وهم نُهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع؛ لأنَّهم مخالفون لمن تقدَّم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال.

غير مرخصة للطباعة

القول الثاني: أنَّ الجماعة أئمة العلماء المجتهدين:

والثاني: أنَّها جماعة أئمــة العلماء المجتهدين، فمن خرج ممَّا عليه علماء الأمة مات مِيتة جاهلية؛ لأن جماعة الله العلماء، جعلهم الله حُجَّة على العالمين، وهم المعنيــون بقوله ﷺ: «**إنَّ الله لن يجمع أمَّتي على ضلالة**»[١]. وذلك أنَّ العامَّة عنها تأخــذ دينها، وإليها تفزع من النوازل، وهي تبع لها. فمعنى قوله: «**لن تجتمع أمتــي**» لن يجتمع علماء أمتي «على ضلالة».

وممن قال بهذا: عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وجماعة من السلف وهو رأي الأصوليين.

فقيل لعبد الله بن المبارك: من الجماعة الَّذين ينبغي أن يُقتدى بهم؟ قال: أبو بكر وعمر. فلم يزل يحسب، حتَّى انتهى إلى مُحَمَّد بن ثابت، والحســين بن واقد، فقيل: هؤلاء ماتوا، فمن الأحيــاء؟ قال: أبو حمزة السُّكَّري[٢].

وعن المســيب بن رافع قال: كانوا إذا جاءهم شيء من القضاء ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله، ســموه: «صوافي الأمراء»، فجمعوا له

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٥.

(٢) ســبق تخريجه صـ٦٥، وفيه: «**إنَّ الله لن يجمع أمَّتي على ضلالة**». وأبو حمزة السكري: محمد بن ميمون المروزي، أحد الأئمة، كان مجاب الدعوة، عظَّمه ابن المبارك، ووثقه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل والنسائي وآخرون.

QaradawiBooks.com

أهل العلم، فما أجمع رأيهم عليه فهو الحق[١]. وعن إسحاق بن راهويه نحوٌ ممَّا قال ابن المبارك[٢].

فعلى هذا القول لا مدخل في السؤال لمن ليس بعالم مجتهد؛ لأنَّه داخل في أهل التقليد، فمن عمل منهم بما يخالفهم، فهو صاحب المِيتة الجاهلية، ولا يدخل أيضًا أحد من المبتدعين؛ لأنَّ العالم أولًا لا يبتدع، وإنَّما يبتدع من ادَّعى لنفسه العلم، وليس كذلك، ولأن البدعة قد أخرجته عن نمط من يُعتدُّ بأقواله، وهذا بناء على القول بأنَّ المبتدع لا يعتدُّ به في الإجماع، وإن قيل بالاعتداد به فيه، ففي غير المسألة الَّتي ابتدع فيها؛ لأنَّهم في نفس البدعة مخالفون للإجماع. فعلى كل تقدير لا يدخلون في السواد الأعظم رأسًا.

القول الثالث: الصحابة على الخصوص:

والثالث: أنَّ الجماعة هي الصحابة على الخصوص، فإنهم الَّذين أقاموا عماد الدين وأرسَوا أوتاده، وهم الَّذين لا يجتمعون على ضلالة أصلًا، وقد يمكن فيمن سواهم ذلك، ألا ترى قوله ﷺ: «**ولا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله**»[٣]. وقوله: «**لا تقوم الساعة إلَّا على شرار النـاس**»[٤]. فقد أخبر ﷺ: أن من الأزمان أزمانًا يجتمعون فيها على ضلالة وكفر. قالوا: وممن قال بهذا القول عمر بن عبد العزيز، فروى ابن

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٠٧١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٨/٩)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١٤٨)، عن أنس.

(٤) رواه مسلم في الفتن (٢٩٤٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وهب عن مالك قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: سـنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سُـننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واسـتكمالٌ لطاعة الله، وقوةٌ على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر فيها! من اهتدى بها مهتدٍ، ومن اسـتنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولَّى، وأصلاه جهنَّم وساءت مصيرًا. فقال مالك: فأعجبني عزم عمر على ذلك[١].

فعلى هذا القـول فلفـظ «الجماعة» مطابـق للروايـة الأخرى في قوله ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**». فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سـنُّوه. وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك خصوصًا في قوله: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»[٢] وأشباهه، أو لأنَّهم المتقلِّدون لكلام النبوة، المهتدون للشـريعة، الَّذين فهموا أمر دين الله بالتلقي من نبيه مشـافهة، على علم وبصيرة بمواطن التشـريع، وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم. فإذا كل ما سنُّوه، فهو سُنَّة من غير نظير فيه، بخلاف غيرهم، فإنَّ فيه لأهل الاجتهاد مجـالًا للنظر، ردًّا وقبولًا، فأهل البدع إذًا غير داخلين في الجماعة قطعًا على هذا القول.

القول الرابع: جماعة أهل الإسلام:

والرابع: أنَّ الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر، فواجـب على غيرهم مـن أهل الملـل اتباعهم. وهم الَّذيـن ضمن الله

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٧٦٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٣١).

(٢) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشـواهده. وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٠)، عن العرباض بن سارية.

QaradawiBooks.com

لنبيه ﷺ أن لا يجمعهم على ضلالة، فـإن وقع بينهم اختلاف، فواجب تعرُّف الصواب فيما اختلفوا فيه.

قال الشـافعي: الجماعة لا تكـون فيها غفلة عن معنـى كتاب الله، ولا سنة، ولا قياس، وإنَّما تكون الغفلة في الفُرقة(١).

وكأنَّ هذا القول يرجع إلى الثاني، وهو يقتضي أيضًا ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول، وهو الأظهر، وفيه من المعنى ما في الأول، من أنَّه لا بد من كون المجتهدين فيهـم، وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلًا، فهم إذًا الفرقة الناجية.

القول الخامس: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير:

والخامـس: ما اختاره الطبري الإمـام، مـن أنَّ الجماعة: جماعة المسـلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر ﷺ بلزومـه، ونهى عن فراق الأُمَّة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم؛ لأن فراقهم لا يعدو إحدى حالتين، إما للنكير عليهم في طاعة أميرهم، والطعن عليه في سـيرته المرضيَّـة لغير موجـب. بل بالتأويل فـي إحداث بدعة فـي الدين، كالحَرورية الَّتي أُمرت الأمةُ بقتالها، وسمَّاها النبي ﷺ مارقة من الدين، وإما لطلـب إمارة من انعقـاد البيعة لأمير الجماعـة، فإنه نكث عهد ونقض عهد بعد وجوبه.

وقد قال ﷺ: «**من جـاء إلى أمَّتي ليفرِّق جماعتهـم، فاضربوا عنقه كائنًا من كان**»(٢). قال الطبري: فهذا معنى الأمر بلزوم الجماعة.

---

(١) الرسالة صـ ٤٧٣، تحقيق أحمد شاكر، نشر مكتبة مصر، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٢)، وأحمد (١٨٢٩٥)، عن عرفجة.

QaradawiBooks.com

قال: وأمَّا الجماعة الَّتي إذا اجتمعت علـى الرضا بتقديم أمير، كان المفارق لها ميتًا مِيتـة جاهلية، فهي الجماعة الَّتي وصفها أبو مسـعود الأنصاري، وهم معظم النَّاس وكافتهم مـن أهل العلم والدين وغيرهم، وهم السواد الأعظم.

قـال: وقد بيَّن ذلك عمر بـن الخطاب ﷺ، فـروى عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قـال عمر حين طعن لصهيب: صـلِّ بالناس ثلاثًا، وليدخـل عليَّ عثمان وعلـيٌّ وطلحـة والزبير وسـعد وعبد الرحمٰن، وليدخل ابن عمر فـي جانب البيـت، وليس له من الأمر شـيء، فقم يا صهيب على رؤوسهم بالسيف، فإن بايع خمسة ونكص واحد، فاجلد رأسه بالسـيف، وإن بايع أربعة ونكص رجلان، فاجلد رأسيهما، حتَّى يستوثقوا على رجل[1].

قال: فالجماعة الَّتي أمر رسول الله ﷺ بلزومها، وسمَّى المنفرد عنها مفارقًـا لها، نظيـر الجماعة الَّتي أوجـب عمر الخلافـة لمن اجتمعت عليه[2]، وأمر صهيبًا بضرب رأس المنفرد عنهم بالسيف. فهم في معنى كثرة العدد المجتمع على بيعته، وقلة العدد المنفرد عنهم.

قال: وأمَّا الخبـر الَّذي ذُكر فيـه أن لا تجتمع الأمـة على ضلالة، فمعناه: أن لا يجمعهم على إضلال الحق فيما نابهم من أمر دينهم، حتَّى يضلَّ جميعهم عن العلم ويخطئوه، وذلك لا يكون في الأمة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة المغازي (٣٨٢١٥)، ورواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٠٠)، بأتم من هذا السياق.

(٢) قال السيد رشيد رضا: أي: هم أهل الحل والعقد الذين تجتمع كلمة الأمة باتفاقهم، وتتفرق بتفرقهم، فيتبع كلَّ واحد منهم جماعةٌ تتعصب له.

QaradawiBooks.com

هذا تمام كلامه وهو منقول بالمعنى، وتحرٍّ في أكثر اللفظ.

وحاصلــه: أنَّ الجماعة راجعة إلــى الاجتماع على الإمــام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أنَّ الاجتماع على غير سُنَّة، خارجٌ عن معنى الجماعة المذكور فــي الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم.

فهذه خمســة أقوال دائرة على اعتبــار أهل الســنة والاتِّباع، وأنهم المرادون بالأحاديث، فلنأخذ ذلك أصلًا»[1].

* * *

(١) الاعتصام للشــاطبي (٢٥٨/١ ـ ٢٦٥)، تعليق الشــيخ محمد رشــيد رضا، نشر المكتبة التجارية الكبرى.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الأصل السابع عشر

العقيدة والعمل القلبي والجارحي

«والعقيدة أســاس العمل، وعمــل القلب أهمُّ من عمــل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب».

* * *

نسخة مجانية

الأصل السابع عشر

المراد بالعقيدة ما يريده القرآن بكلمة الإيمان:

العقيدة يُراد بها: مجموعة القضايا الأساسيَّة الَّتي يؤمن بها الإنسان إيمانًا لا يقبل التشكيك أو التردُّد، فضلًا عن التراجع أو التزحزح. وهي ما يُطلق على القضايا الدينيَّة الَّتي يؤمن بها الإنسان، ويعتقدها اعتقادًا جازمًا، عن طريق التبليغ أو التعلُّم أو التلقين أو التقليد، أو التفكُّر والتأمُّل، فهي بدلٌ لكلمة «الإيمان»، الَّتي يطلقها الدين، وتشيع في نصوص القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ.

والعقيدة: معروفة عند أهل الأديان السماويَّة أو الأرضيَّة، وبعبارة أخرى: الكتابيَّة أو الوثنيَّة.

فنحن المسلمين لدينا عقيدة تتمثَّل في الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ورفض الكفر بها، أو بشيء منها، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ولم يذكر فيها الإيمان

بـ «القَدَر خيره وشــرّه» الَّذي ذكرته السُّنَّة النبويَّة(١)؛ **لأنَّ هذا «القَدَر» هو** في الحقيقة جزء من الإيمان بالله تعالى.

وللنصارى عقيدتهم، ولليهود عقيدتهــم، وللهندوس والبوذيين من أهل آســيا كذلك عقيدتهم، ولســائر الوثنيين عقيدتهم. وكلُّ واحد من هؤلاء يؤمن بعقيدته، ويدافع عنها بدمه.

ولكن لــم ترد كلمــة «العقيدة» عندنا نحن المســلمين فــي القرآن الكريم، ولكن جاء بديلًا عنها كلمة أصيلة ومهمَّة، انتشــرت في ســائر القرآن والسُّــنَّة، وهي كلمة «الإيمان»، فإذا ذُكرت كلمة «الإيمان»، فهي تعني ما يعنيه النَّاس من كلمة العقيدة، مضافًا إليها ما يُحسُّــه النَّاس من كلمة الإيمان خصوصًا.

وقد كنتُ فــي بداية كتاباتــي أريد أن أُؤلِّــف كتابًا عــن «العقيدة والحياة»، ثــمَّ عدلتُ عن هذا العنــوان، واخترتُ أن أســمِّيه: «الإيمان والحيــاة»، انتقاء للكلمة القرآنية، فهي أحلــى وأجلى وأبلغ من غيرها، وقد صدر من قديم، وطُبع عشرات المرَّات بالعربيَّة، وتُرجم إلى عدد من اللغات الأوربية والإسلاميَّة، والحمد لله.

ومن هنا يتبيَّن لنا: أنَّنا لا نريد بالعقيدة ما يريده بعض النَّاس بكلمة «الرأي»، فإن كلمة «الرأي» يُحتمل أنَّها مجرَّد تفكير للإنســان، قد يقتنع به أحيانًا، فيدعو إليــه، ويدافع عنه، وقد يتزعزع إيمانــه جزئيًّا أو كليًّا، فيضعف في نفسه، أو يزول بالكلية، وليس هذا شأن العقيدة، أو الإيمان

(١) رواه مسلم في الإيمان (٨)، وأحمد (١٩١)، عن عمر بن الخطاب.

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحقيقي، حين يستقرُّ في النفس، وتخالط بشاشـــتُه القلوبَ، كما عرَف ذلك أهل الإيمان من المسلمين، ومن غيرهم.

والإيمان يزداد قوَّة وجِـــدَّة في قلب صاحبه، كلَّمـــا ازداد معرفة به، وانفتحت له آفاقٌ لم تنفتح له من قبل، وكلَّما مارسه في حياته، وأصبح عاملًا حيًّا مؤثِّرا في كيانه، كما ذكـــر القرآن عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

حرص البنَّا على تكوين رجال العقيدة:

وكان الأستاذ حسن البنَّا ـ مؤسِّس جماعة الإخوان المسلمين ـ حريصًا كلَّ الحرص على أن يكون الرجال الَّذين ينتمون إلى دعوته وينضمُّون إلى ركْبه رجالَ عقيدة ودعوة، قبل أن يكونوا رجالَ غنيمة ومنفعة.

ومعلوم لدى الخبراء بالجماعات وتكوينها: أن هناك فرقًا شاسعًا بين النوعين من الرجال، فرجل الغنيمة والمنفعة، الَّذي ينضمُّ للدعوة، يكون فيها مُهَرِّجًا، ولا يكون نافعًا، ويكون دخيـــلًا ولا يكون أصيلًا، ويكون صوتًا يُجعجـــع، دون أن يكون وراءه طحينٌ يُـــؤكَل ويُنتفع به، كما قال العرب قديما في مِثْله: نسمع جَعْجَعةً ولا نرى طِحْنا.

ومثله مَن ذمَّه الله في كتابه، قال ســـبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

QaradawiBooks.com

أمَّا رجل العقيدة والدعوة، فهو عضو حيٌّ في جسد الجماعة، عامل لا يكلُّ، وناهض لا يتعطَّل، وناشط لا يتبطَّل، عقله يعمل ويفكر، وقلبه ينبض ويحبُّ، ويده تصافح وتسلِّم، ورجله تمشي إلى الخير ولا تضعُف، ولسانه يذكر الله تعالى ويتحدَّث مع النَّاس، يدعوهم إلى الخير، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويشارك مع العاملين في كل خير عامٍّ ينجزونه، ولا يتوانى عنهم، أو يتهرَّب من أعمالهم ومجهوداتهم، فله في كل أمرٍ عامٍّ نصيب، وله في كلِّ عملٍ سهمٌ، وهو دائمًا يقول للخيِّرين: أنا معكم. فهو معهم بمجهوده، وهو معهم بماله، وهو معهم بلسانه، وهو معهم بنيته، «**وإنما لكلِّ امرئ ما نوى**»[1]. فالنية الطيبة هنا لها مقام كبير، فمن لم يستطع أنْ يبذل جُهدًا يُنتظر منه، فإنه مأجور بما عنده من نية صالحة، وقد يُكتب له أجر العمل عند الله، وإن لم يفعلْه أو يُتمّه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]. والله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ورجل العقيدة قد سلَّم نفسه لله تعالى: فقد اشترى منه نفسَه وماله، وهما مِلْك الله، بثمن عظيم، هو الجنَّة، الَّتي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

هل رأيت أحدًا يشتري مِلكَه؟ وهل رأيته يبذُل فيه ثمنًا لا يبذله غيره؟!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

الله هو الَّذي اشـــترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة، اشـــترى أنفسًـــا هو الَّذي خلقها، وأموالًا هو الَّذي رزقها، ثمَّ أغلى في الثمن، فأعطاهم جنةً ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

إنَّ رجال العقيدة ليسوا دعاة صَخَب، ولا رجال تصنُّع، ولا يكتفون بالعمل في وقت الســـلم والراحة، فإذا اشـــتدَّ الأمـــر، وهاجت الريح، وجاءهم الموج من كل مكان، فرُّوا من المعركة.

رجـــال العقيدة رجال عمـــل في كل وقـــت، يعملون في السِّـــلم وفي الحرب، في الرخاء وفي الشدة، مع الحُكَّام العادلين، ومع الحكَّام الظلمة، ويتعرَّضـــون لـــلأذى والعنت في أنفســـهم، وفـــي أهليهم ومـــن يحبون، ولا تتزعزع عقائدهم، ولا تتزحزح مواقفهم، ولا يعودون إلى الوراء، يقولون كما قال سَحَرة فرعون حينما هدَّدهم ببطشه وإيذائه: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

إنَّ هؤلاء السَّـــحَرة الضعفاء في المجتمع يتحـــدَّون فرعون المتجبِّر المُتألِّه، الَّذي قال للنـــاس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. وقالوا له: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۞ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۞ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٢ ـ ٧٥].

كانوا يحلفون من قبل بعِزَّة فرعون إنَّهم لَهُمُ الغالبون، فلمّا اســـتنار لهم الطريقُ أصبحوا يُقسمون بيمين أخرى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ يحلفون بالله الَّذي فطرهم وخلقهم على الفطرة البشريَّة.

QaradawiBooks.com

وكانوا يحرصون على أن يكون لهم أجر من فرعون: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]. قال فرعون: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢].

الآن رفضوا هذا كلَّه، وكلَّموا فرعون بلغة المعتزِّ بدينه، الَّذي يشعر بقوته وغلبته قائلين: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

ثم يبيِّنون ماذا ينتظرهم من ثواب الله تعالى في الآخرة، وماذا ينتظر فرعون ومن معه من المجرمين.

هذا هو موقف رجل العقيدة، حين يلزم الأمر أن يضحِّي بنفسه، وأن يفرَّ إلى ربِّه من جور المستكبرين، وظلم الظالمين.

هذا هو رجل العقيدة، رجلٌ مِعطاء، رجلٌ باذل، رجلٌ شجاع، رجلٌ لا يخاف في الله لومةَ لائم، ولا بطشةَ ظالم، بل يخوض كل مَعْمعة، ولا يبالي ما يصيبه فيها، معتمدًا على ربِّه، متوكِّلًا عليه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩].

أين هؤلاء من رجال يختفون عند الصَّرْخة، ويهربون عند الشدائد؟ يكثرون عند الطمع، ويقلون عند الفَزْع؛ لأنك لا تراهم إلَّا في السُّرَادقات يوم الاحتفال، ولا تراهم أبدًا ساعة المحنة، كالذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠، ١١].

QaradawiBooks.com

العقيدة أساس العمل:

من المُتَّفق عليه بين المسلمين كافة: أنَّ العقيدة هي أساس العمل، وأنَّ العمل وحده لا قيمة له عند الله، إذا لم ينبثق عن الإيمان به تعالى أساسًا، فأعمال الكافرين بالله ـ وإن كان ظاهرها صالحًا ـ مرفوضة في ميزان الحق تبارك وتعالى. ولهذا قال تعالى في شأن المشركين: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩]. وقال ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

ذلك أنَّ العمل لا يُقبل عند الله إلَّا إذا كان وراءه نية صالحة، ولا يقبل الله ـ جل وعلا ـ عملا بغير نيّة، كما قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[(١)].

والنيّة الَّتي يتقبَّلها الله من صاحبها، ويسجِّلها له عنده، هي: ما كانت خالصة لوجهه سبحانه، فلا يقبل الله عملًا قُصد به وجه غيره، أو قُصد به الله سبحانه مع غيره، كما كان العرب في الجاهلية يفعلون، فهم لم ينكروا وجود الله سبحانه وتعالى، ولا جحدوا أنَّه خلق السماوات والأرض، بل أقروا بذلك سرًّا وجهرًا، وأجابوا عن ذلك بصراحة حين سُئلوا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩].

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٩.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

ومع اعتراف العرب بالله خالقًا للسماوات والأرض، وبارئًا للإنسان، ومدبِّرًا لكلِّ شيء، فإنهم أشركوا بالله سبحانه، وعبدوا معه آلهةً أخرى، لا تملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا بصرًا ولا سمعًا، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

والله سبحانه يرفض هذه الدعاوى، ولا يقبل من العمل الَّذي يُقدَّم إليه إلَّا ما كان منه خالصًا لوجهه: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر: ١١، ١٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ومن هنا تقرَّر بكل وضوح: أنَّه لا صلاح لعمل عند الله، ما لم يكن مؤسَّسًا على عقيدة ربَّانية صحيحة، وأساس هذه العقيدة هو التوحيد، والتوحيد الَّذي يُراد هنا ليس هو الاعتراف أنَّ الله وحده هو خالقُ الكونِ كلِّه علويِّه وسفليِّه، وخالق الإنس والجن والملائكة، وخالق الحيوانات والوحوش والطيور والحشرات، والأسماك والحيوانات المائية وغيرها، ما نبصر منها وما لا نبصر، فهذا الاعتراف كان يقول به عرب الجاهلية،

QaradawiBooks.com

الَّذيــن اعتبرهم القرآن مشــركين وكفَّارًا، كســائر الكفار والمشــركين: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۞ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۞ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۞ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٣].

إنَّما التوحيد الَّذي نريد هنا، هو: توحيد الإلٰهية، توحيد العبادة، الَّذي دعا إليه كل أنبياء الله ورسله: أنَّه لا يستحق العبادة إلَّا الله، ولا يُعبد أحد إلَّا هو، وهو معنى: أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، الَّتي لا يصحُّ إيمان مسلم إلَّا بقولهــا والالتزام بجزائها، والجــزء الآخر منها هو: وأشــهد أن محمدًا رســول الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالــى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وبهذا أرسل الله نوحًا وإبراهيم وأولي العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء والمرســلين: أن يدعوا النَّاس إلى عبــادة الله وحده، وأن يُفردوه وحده بالعبادة والاســتعانة، فلا يعبدوا أحدًا غيره، ولا يســتعينوا بأحد سواه، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وبهذا أرسل رسول الإســلام إلى أباطرة الأرض وإلى ملوكها وأمرائها القريبين من جزيرة العرب، والذين لهم تعارف واختلاط بالعرب، أرســل إليهم رسائله العالمية: إلى كسرى إمبراطور الفرس، وإلى قيصر إمبراطور الروم، والمقوقس رئيس مصر، وإلى النجاشــي ملك الحبشة، وإلى بعض الأمراء في البلاد العربيَّة، دعاهم فيها أن يُســلِموا فيَسْلَموا، وإلى التوحيد

QaradawiBooks.com

الخالص، وأن يُذعنوا لرُبوبيَّة الله وإلهيَّته للعالم، ويتآخَوا مع المسلمين، وخَتَم رسالته إلى النصارى منهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

أنواع العمل المتفرِّع من العقيدة:

والعقيدة الَّتي يؤمن بها المسلم، والتي ترسخ في صدره، وتتمكن من قلبه كله، لا بد أن يكون لها أثرها، فكل إيمان لا بدَّ له من أثر يوجبه في حياة صاحبه، ولا بدَّ له من عمل يصدر عنه، ولم نجد إيمانًا حقيقيًّا بلا عمل، إلَّا أن يكون هذا الإيمان دعوى مزيفة، أمَّا الإيمان الحق: فهو ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، ولهذا قرن الله تعالى في كتابه العزيز الإيمان بالعمل في نحو تسعين آية، تجد في القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وتجد: «الذين آمنوا وأحسنوا»، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣]. و«الذين آمنوا وأصلحوا»، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]. و«الذين آمنوا وجاهدوا»، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

لا بدَّ لشجرة الإيمان من ثمرة، وثمرتها العمل، ولكن **العمل نوعان:** هناك عمل الجارحة، وهناك عمل القلب.

عمل الجارحة: هو ما يُرى بالعين، ويُدرك بالحواس، مثل: الصلاة والزكاة والصدقة والحج والعمرة، وغيرها من الأعمال الخيِّرة المرئية والمعروفة للناس.

QaradawiBooks.com

وعمل القلب: ما كان خافيًا على النَّاس، ولا تراه الأعين، ولا تسمعه الآذان، ولا تشَمُّه الأنوف، ولا تلمسه الأيدي؛ لأنَّه عمل تقوم به القلوب الَّتي في الصدور، ولا تقوم به الأعضاء والجوارح البشريَّة الظاهرة.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظرُ إلى أجسامكم وصُوَركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[1].

وقال تعالى على لسان خليله إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩]. والمراد أن يكون سليمًا من الشرك والكفر والنفاق، والآفات الَّتي تُفسد القلوب.

وقال في أهل الجنَّة: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣].

وأعمال القلوب هنا هي الَّتي لا تُبصرها العين، ولا تُدركها الحواسُّ، مثل خشية الله تبارك وتعالى، والتوكُّل عليه، والشكر لنعمائه، والصبر على بلائه، والرضا بقضائه، والمحبَّة له، والأنس به، والحياء منه، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ونحوها، وهذه هي أصول الدين الحقيقيَّة.

وكل الأعمال الظاهرة من صلاة وزكاة وصدقة وصيام وحجٍّ وعُمرة وذِكر ودعاء واستغفار.. إلخ؛ لا يكون لها وزن عند الله إلَّا إذا صاحَبها نيةٌ خالصة لله تعالى، فمِن دون هذه النية ـ وهي من الأعمال الباطنة ـ لا قبول لها في ميزان الله جل شأنه.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٥.

QaradawiBooks.com

تحصيل الكمال في أعمال القلوب والجوارح مطلوب:

وممَّا ذكره الإمـــام البنَّا هنا: أن كلًّا من الأعمـــال الظاهرة والأعمال الباطنة ـ وبعبارة أخرى أعمـــال الجوارح وأعمال القلوب ـ مطلوب فيها تحصيل الكمال.

والكمال المطلوب في أعمال الجوارح الظاهرة: أن تستوفي شروطها، وتســـتكمل آدابها، وتحترس من موانعها ومكدِّراتهـــا، وأن تحافظ على رُوحها ما وجدتَ إلى ذلك سبيلًا.

فالوضوء من الأعمال الظاهرة، ولكن ينبغي للمســـلم أن يستكمل كلَّ أركانه من اســـتحضار الماء الطاهر المطهِّر، الَّذي لا شكَّ فيه، وأن يسبقه استنجاء وتطهُّر للأعضاء الَّتي يصيبها البول والبراز، وأن يغسل كلَّ الأعضاء المطلوب غسلها ثلاثًا، وهي: الوجه واليدان والرجلان، وأن يمسح الأعضاء المطلوب مســـحها مرَّة واحدة، وأن يخرج من المختلَـــف فيه إلى المتَّفق عليه، فيمسح كلَّ رأسه، لا ربعه، ولا شـــعرات منه، وأن يمسح أذنيه. وأن يستكمل ما هو مستحبٌّ في الوضوء، بأن يغســـل كلَّ عضو ثلاث مرات، وأن يدعو بعد الوضوء، وأن يصلِّي ركعتين بعد الوضوء إذا لم تكن الصلاة حاضرة، إلى آخر هذه المستحبَّات الَّتي يعرفها كثير من المسلمين.

والصـــلاة أيضًا مطلـــوب فيها الكمـــال، أن يســـتوفي كلَّ الفرائض المطلوبة لها، وأن يبتعد عن كلِّ البـــدع الَّتي تدخل عليها، وأن يحترس من أن يُدخل بعضُ النَّاس عليه هذه البدعَ بطرق شـــتَّى، مثل: هذه بدعة حســـنة، وفيها زيادات جيِّدة، ولا حرج منها. فالأَوْلـــى أن نكون متَّبعين لا مبتدعين، ونرفـــض كلَّ زيادة في الدين لم يأتِ بها كتاب ولا سُـــنَّة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

QaradawiBooks.com

وعلينا أن نختار في صلاتنا أكمل ما صحَّ عن رسول الله ﷺ، ولا شكَّ أنَّ النَّاس لهم مذاهب في ذلك اختاروها ورضوها لأنفسهم، وعلى الإنسان إذا كان قادرًا على ذلك أن يوازن بينها، ويختار منها ما يراه أقرب إلى السُّنَّة النبويَّة الصحيحة. ويحافظ على الصلوات في أوقاتها، ويصلِّيها في جماعة مع إمامها، فإن لم يتيسَّر له جماعة المسجد، فليصلِّ مع أهل بيته أو إخوانه، وليحرص على الجماعة ما أمكنه، فهي أولى من صلاته منفردًا بسبع وعشرين درجة، أي صلاة الجماعة أفضل من الفرديَّة بمقدار (٢٧٠٠٪) ألفين وسبعمائة في المائة.

وكلما أعطى الركوع حقَّه، والسجود حقَّه، وأكمل الأركان كلَّها، وأكثر من قراءة القرآن الكريم، وأطال في دعائه في السجود، وبأذكاره ودعواته في آخر صلاته، وفيما بعد الصلاة، كان له من الأجر والمثوبة عند الله بقدر إتقانه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء**»[(١)]. «**إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أنْ يتقنه**»[(٢)].

وكل الأعمال الظاهرة من صيام وحج وعمرة وجهاد، ومن تلاوة قرآن، وذكر ودعاء واستغفار، وصلوات على الرسول، كلها لها واجبات وسنن وآداب تكملها وتتممها، ومن أراد أن يتقرَّب بها إلى ربه، فعليه أن يقرأ هذه الآداب والمكملات في مواضعها، وهي ميسورة إن شاء الله لمن أرادها، ومن طلب خيرًا وجده، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

---

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الكمال في أعمال القلوب:

وأعمال القلوب هي الَّتي ينبغي لأهل الإيمان، وعُشَّاق الجنَّة، وطلَّاب الخير عند الله تعالى: أن يحرصوا عليها، وأن يسعَوا إليها بكل خِفَّة وقوة وسرعة، كما أوصانا الله تعالى بذلك حين قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ٤٨].

والمطلوب من كل مسلم: أن يُحَصِّلَ الكمال في أعمال القلوب، ولا يكتفي أن يكون من أهل الحدِّ الأدنَى، بل ينبغي أن يحاول ويجتهد أن يلتمس الدرجة العُليا، كما علمنا القرآن في كثير من سوره وآياته، أن نلتمس «**الأحسن**» ولا نكتفي بـ «**الحسن**» كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [هود: ٧].

وقد تكرَّرت: ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ في القرآن عدة مرات، ليغرس في عقولنا وضمائرنا التطلع إلى الأحسن، وإلى الأعلى، وإلى الأكمل دائمًا.

QaradawiBooks.com

أمَّا السيِّئ، فهو معزول عن هذا المجال العزيز؛ لأنَّ التنافس هنا بين الحسن والأحسن، لا بين السيِّئ والحسن.

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

ويروى عن الإمام الشافعي هنا أنَّه قال:

إذا رُمتَ أن تحيا سليمًا من الرَّدَى ... ودينُك موفــورٌ، وعِرضكَ صَيِّنُ
فلا ينطقَنْ منك اللِّســان بسوْءة ... فكلُّكَ ســوءاتٌ وَللنَّــاسِ أعْيُنُ
وَعاشِرْ بمعروفٍ، وسامحْ مَنِ اعتدَى ... ودافعْ، ولكنْ بالتي هي أحْسَنُ[1]

كما يطالب القرآن في كثير من الأمور المسلمين «بالتي هي أحسن»، كما في تدبير مال اليتيم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وفي الجدال مع غير المسلمين: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويعلمنا النبي ﷺ أن يكون هذا شأننا دائمًا، فلم يطلب منا أن نسأل الله دخول الجنَّة ولو في الفوج الأخير منها، بل نسأله أرفع الدرجات، وأعلى المراتب، وهذا شأن المؤمنين، فيقول: «**فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنَّة، وأعلى الجنَّة**»[2].

(١) ديوان الإمام الشافعي الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس صـ ١٤٣، ١٤٤، إعداد محمد إبراهيم سليم، نشر مكتبة ابن سينا، القاهرة.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

مراتب الترقِّي للمسلم:

وفي كل منزلة من المنازل الَّتي يرتقيها المسلم في طلبه القُربَ من الله ﷻ، مراتب: عليا ووسطى ودنيا، وعلى المسلم أن يدرس هذه المنازل، وقد ذكرها العلامة الهروي في رسالته: «**منازل السائرين إلى مقامات إياك نعبد وإياك نستعين**»، وشرحها الإمام ابن القيم في كتابه الكبير: «**مدارج السالكين.. شرح منازل السائرين**»، وفيه متسع لمن أراد أن يأخذ من الزاد ما يكفيه وزيادة، والحمد لله.

ورجال السلوك يجعلون أكبر همِّهم في أعمال القلوب، فهُم يركِّزون عليها، في الدعوة والتربية، ويجعلونها هي أساس النجاة من النيران، أو الوقوع في الخسران.

معاصي القلوب أعظم من معاصي الجوارح:

وهذا يشمل المأمورات والمنهيَّات، فكما أن طاعات القلوب أعظم بكثير جدًّا من طاعات الجوارح، فإن معاصي القلوب أعظم وأضخم بكثير جدًّا من معاصي الجوارح، ونحن نعلم الفرق بين معصية آدم عليه السلام، ومعصية إبليس لعنه الله.

فمعصية آدم كانت أكله من الشجرة الَّتي نُهِي عن الأكل منها: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. ولكن أغراه الشيطانُ وغرَّه، وكذب عليه، حتَّى أكل منها، ولكنَّه سرعان ما أدرك ذلك، وعرف خطأه، فاستغفر ربَّه، وتاب منه، فمُحيت هذه المعصية وآثارها من قلبه وحياته تمامًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

QaradawiBooks.com

وقال عن آدم وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

أمَّا معصية إبليس فكانت الاستكبار، والتمرّد على الله، وهي معصية قلبية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

لقد أبى إبليس أن يستجيب لأمر الله، ولما سأله ربُّه عن ذلك، قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

إنّ معاصي القلوب هي الَّتي أوقعتْ الآدميين في الرجْس والوحل، وألهتهم عن ربهم، وشغلتهم عن الآخرة.

لهذا اجتهد كلٌّ من الَّذين ألَّفوا في التصوُّف والسلوك ـ مثل القشيري، والهروي، وصاحب قوت القلوب أبي طالب المكي، والغزالي، وابن القيم، وغيرهم ـ أن يوجِّهوا الأنظار والعقول والمعارف إلى أهميَّة أعمال القلوب في الطاعة: من النية والمعرفة، والإخلاص والتوكل، والزهد والرضا والحب، والخوف والرجاء، والصبر والشكر، وغيرها من الأعمال الرُّوحية.

وكذلك حذَّروا من معاصي القلوب، من حب الدنيا، وحب المال، وحب الجاه، والرياء، والتعصُّب والحقد، والكبر والعُجب، والبخل والجبن، وسائر خصال الشر القبيحة.

لماذا شدَّد الإسلام في أمر معاصي القلوب؟

وإنما اشتد خطر هذه المعاصي والذنوب القلبية في نظر الإسلام لعدة أمور:

QaradawiBooks.com

أولها: أنّها تتعلق بالقلب، والقلب هو حقيقة الإنسان، فليس الإنسانُ هو الغلاف الجسديُّ الطينيُّ، الَّذي يأكل ويشرب وينمو، بل هو الجوهرة الَّتي تسكنه، والتي نسمِّيها: القلب، أو الرُّوح، أو الفؤاد، أو ما شئتَ من الأسماء. وفي هذا قال ﷺ: «**ألا إنَّ في الجسد مُضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب**»(١).

وقال ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم وصُوَركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٢).

وجعل القرآنُ أساسَ النجاة في الآخرة هو سلامة القلب، كما قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩].

وسلامة القلب تعني: سلامته من الشرك جليِّه وخفيِّه، ومن النفاق أكبرِه وأصغرِه، ومن الآفات الأخرى الَّتي تلوِّثه: من البدع الممقوتة، والأهواء المعتلَّة من الكِبْر والحسد والحقد، وغيرها.

وقال ابن القيم: «سلامته من خمسة أشياء: من الشرك الَّذي يناقض التوحيد، ومن البدعة الَّتي تناقض السنة، ومن الشهوة الَّتي تخالف الأمر، ومن الغفلة الَّتي تناقض الذكر، ومن الهوى الَّذي يناقض التجريد والإخلاص»(٣).

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٥.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٥.

(٣) الجواب الكافي لابن القيم صـ ١٢٢، نشر دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

معاصي القلوب تدفع إلى معاصي الجوارح:

ثانيها: أنّ هذه الذنوب والآفات القلبيـــة هي الَّتي تدفع إلى معاصي الجوارح، فـــكل هذه المعاصي الظاهـــرة إنَّما يدفع إليهـــا اتباع الهوى، أو حب الدنيا، أو الحســـد، أو الكبر، أو حب المـــال والثروة، أو حب الجاه والشهرة، أو غير ذلك.

حتى الكفرُ نفسُـــه، كثيرًا ما يدفع إليه الحسد كما حدث لليهود، فقد قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

أو يدفع إليها الكِبْر، والعلـــوُّ في الأرض، كما قال تعالى عن فرعون وملئـــه، وموقفهم من آيات موســـى عليه السلام: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

أو حبُّ الدُّنْيا وزينتها، كما رأينا ذلك في قصَّة هرقل ملك الروم، وكيف تبيَّن له صدق الرســـول ﷺ في دعوته، وصحَّـــة نبوته، ثمَّ لما هاج عليه القساوســـة، غلَّب حبَّ مُلكه على اتباع الحق، فباءَ بإثمِه، وإثم رعيته[1].

وإذا نظرت إلى من يقتل نفسًا بغير حق، وجدت وراءه دافعًا نفسيًّا أو قلبيًّا: من حقْد، أو غضب، أو حـــب الدنيا، حتَّى إنَّ أوّلَ جريمةِ قتلٍ في تاريخ البشريَّة كان سببُها الحسد، وذلك في قصة ابنَيْ آدم، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ

(١) إشارة إلى حديث هرقل الطويل المتَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠].

وكذلك كل من ارتكب معصية ظاهرةً: من شهادة زورٍ، أو نميمةٍ، أو غيبةٍ، أو غيرِها، فلا بد أنَّ وراء تلك المعاصي شهوةً نفسيَّة، وفي هذا جاء الحديث: «**إياكم والشحَّ، فإنّما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرَهم بالبخلِ فبخِلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**»(١).

معاصي القلوب الباطنة قلَّما يتوب صاحبها منها:

ثالثها: أنَّ المعاصي الظاهرة، الَّتي سببُها ضعفُ الإنسان وغفلتُه، سرعان ما يتوب منها، بخلاف المعاصي الباطنة، الَّتي سببُها فسادُ القلوب، وتمكُّن الشرِّ منها، فقلَّما يتوبُ صاحبُها منها، ويرجعُ عنها.

وهذا هو الفارق بين معصية آدم، ومعصيةِ إبليس.

معصيةُ آدمَ كانت معصيةَ جارحةٍ، حين أكل من الشجرة، ومعصيةُ إبليس كانت معصيةَ قلبٍ، حين أبى واستكبر، وكان من الكافرين.

معصية آدم كانت زَلَّةً عارضة نتيجةَ النسيان وضعفِ الإرادة، أمَّا معصيةُ إبليس، فكانت غائرة، متمكِّنة، ساكنة في أعماقِه.

لهذا ما أسرعَ ما أدرك آدم خطأه، واعترفَ بزلَّته، وقرَعَ بابَ ربِّه، نادمًا تائبًا هو وزوجته: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣]!

---

(١) رواه أحمد (٦٤٨٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٨)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١٥١٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

أمّا إبليس فاستمرَّ في غُلَوائِه، متمرّدًا على ربِّه، مُجادلًا بالباطل، حين قال له ﷻ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۞ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [ص: ٧٥، ٧٦].

ولهذا كانت عاقبةُ آدم: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وكانت عاقبةُ إبليس: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۞ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٧، ٧٨].

ترهيب الشرع من معاصي القلوب:

رابعًا: وهذه ثمرة للوجوه السابقة، وهو تشديد الشرْع في الترهيب من معاصي القلوب وآفات النفوس، لشدة خطرها، كما في قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنَّةَ مَن كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر**»(١).

وقوله: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالِقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»(٢).

وقوله ﷺ: «**لا تغضب**»(٣)، وكررها ثلاثًا، لمن قال له: أوْصِني.

وقوله ﷻ في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ فمن عمل عملًا أشرك فيه غيري تركته وشركه**»(٤). وقوله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٥)، عن أبي هريرة، وفي معناه عدة أحاديث.

QaradawiBooks.com

«إياكم والشحَّ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمَهم»[(١)].

العقيدة الصحيحة أساس عمل الصالحات:

ومن المهم هنا: أن تعلم أنَّ العقيدة الصحيحة إذا رسخت واستقرَّت في قلب صاحبها، فإنها ستدفعه قطعًا إلى عمل الصالحات. و«**عمل الصالحات**» هذا تعبير قرآني له مدلوله، وله أثره في حياة الإنسان المؤمن، وقد تكرر كثيرًا جدًّا في القرآن الكريم الحديث عن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وماذا هيّأ الله لهم في حياتهم الدنيا، وماذا أعدَّ الله ﷻ لهم في الآخرة.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]، ومثلها كثير في القرآن.

---

(١) رواه أحمد (٦٨٣٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. عن عبد الله بن عمرو.
ورواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٨)، بلفظ: «اتقوا الشحَّ، فإنَّ الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»، عن جابر.

QaradawiBooks.com

مفهوم الصالحات في القرآن:

و«**الصَّالحات**» هنا جمع «صالح» أو «صالحة» من الأعمال والحسنات، فهي الَّتي تصلح بهـا الحياة، ويصلح بهـا الفرد، وتصلح بها الأسـرة، وتصلح بها الجماعة، وتصلح بها الأُمَّة، وتصلح بها الإنسانية كلها.

فعلينا جميعًا أن ندعو إليها، ونهتمَّ بها، وندعو إلى إتقانها وإحسانها، حتَّى تترقى أمتُنا بين الأمم، فالأمـم لا ترقى بين النَّاس بمجرد العمل، بل بالعمل المُتقن، الَّذي اجتهدوا في إحسانه وتحسينه، حتَّى يبلغ الغاية القصوى، وبهـذا تتفاخر الأمم بعضها على بعض، أمَّـا العمل البدائي، والَّذي يظهر عواره وضعفه بسرعة، فلا يصلح للمنافسة، وسيطرده النَّاس من السوق بأسرع من لمح البصر.

فمـن كان مؤمنًا فليعملْ عمـلًا صالحًا، وليدخلْ بعمله في سـباق المتنافسين، و﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٠١

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مخصص للطباعة

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٨٤
سورة البقرة		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨ ـ ١٦	٢٠
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾	٣٤	٩٢
﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٣٥	٩١
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٣٧	٩٢، ٩٦
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾	١٠٩	٩٤
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾	١٤٨	٨، ٨٩
﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	١٧٧	٧٦
﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾	١٨٩	٤١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	٢٠٤ ـ ٢٠٦	٧٨
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾	٢٠٧	٧٩
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	٢١٣	١٣

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾	٢٥٦	٤٠
﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾	٢٥٧	٢٢
﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ ﴾	٢٦٠	٧٨
﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾	٢٧٥	٣٠
﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	٢٧٦	٣٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	٢٧٨	٣٠
سورة آل عمران		
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	٥٣	٢٠
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾	٦٤	٨٥
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ ﴾	١٣٣	٨٩
﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ﴾	١٨٥	٢٠
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ ﴾	١٩٠	١٥
سورة النساء		
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾	٦٠	٢١
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾	٦١	٢١
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾	٦٩	٣٤
﴿ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾	٩٥	٨
﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾	١٠٠	٧٩
﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾	١٣٦	٧٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾	٢٧ ـ ٣٠	٩٤
﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾	٤٨	٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ﴾	٥٤	٦٦
﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾	٩٠	٥٠
﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْ﴾	٩٣	٨٥
سورة الأنعام		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾	٣٨	٢٦
﴿فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾	٤٨	٨٥
﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾	٥٥	٢٣
﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	٦٦
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	٨
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	٨٣
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	١٦٣	٨٣
سورة الأعراف		
﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾	١٢	٩٢
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٩٢، ٩٥
﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾	١٢٦	٨٠
﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾	١٨١	٦٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التوبة		
﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾	١٠٣	١٨
﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	٨، ٢٨
سورة يونس		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾	٩	٩٧
﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾	١٨	٨٣
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾	٣١	٨٣
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾	٣٢	٨٣
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾	٥٩	١٩
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٢	٣٥
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾	٦٣	٣٥
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾	٩٠	٤٠
﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٩١	٤٠
﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾	٩٩	٤٠
سورة هود		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾	٦	٢٦
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٧	٨٩
سورة يوسف		
﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١١١	١٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ ﴾	١٧	١٦، ٢٣
سورة إبراهيم		
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾	١٨	٤، ٨٢
سورة النحل		
﴿لَحْمًا طَرِيًّا ﴾	١٤	١٥
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾	١٤	٢٦
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٣٦	٥٠، ٨٤
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	١٦
﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾	٨٩	١٢
﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾	١١٦	١٩
﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١١٧	١٩
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾	١٢٥	٩٠
سورة الإسراء		
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٣٤	٩٠
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٢٣
سورة الكهف		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾	٣٠	٩٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾	١٠٧	٩٧
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾	١٠٨	٩٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة طه		
﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾	٧٢ ـ ٧٥	٨٠
﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾	٧٢	٨١
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	١٢١، ١٢٢	٩١
سورة الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	٢٣
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	٢٥	٨٤
سورة الحج		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾	١١	٢٢
﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾	٣٠	٥٠
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾	٣٢	٣٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾	٣٨	٢٢
سورة النور		
﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾	٢٧	٤١
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾	٣٩	٤، ١٠، ٨٢
﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾	٤٧ ـ ٥٢	٢١
سورة الفرقان		
﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾	٢٣	١٠، ٨٢
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾	٥٨	٨١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء		
﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾	٤١	٨١
﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾	٤٢	٨١
﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	٨٧ ـ ٨٩	٣٦، ٨٦، ٩٣
﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	١٨٣	١٣
سورة النمل		
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	٦	١٦
﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾	١٤	٩٤
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾	٨	٣١
سورة العنكبوت		
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ﴾	١٠	٢٢، ٨١
﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾	١١	٨١
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	٥٢	٣٣
﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	٥٩	٨١
سورة السجدة		
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	١٧	٧٩
سورة فاطر		
﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾	١٢	١٥
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾	٣٢	١٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصافات		
﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾	٦١	٩٨
سورة ص		
﴿ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾	٧٥	٩٦
﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	٧٦	٩٦
﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	٧٧، ٧٨	٩٦
سورة الزمر		
﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	٣	٨٣
﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	١١، ١٢	٨٣
سورة غافر		
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	٣٥	٢٨
سورة فصلت		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	٣٠ ـ ٣٢	٣٦
﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٣٤	٩٠
﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾	٣٥	٩٠
سورة الشورى		
﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾	٣٧	٥٠
سورة الزخرف		
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٩	٨٢
﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ ﴾	١٩	٤٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٨	٥٥
سورة محمد		
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾	١١	٢٢
سورة الحجرات		
﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾	١٢	٤١
﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾	١٤	٢٠
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾	١٥	٤، ٢٠، ٨٥
سورة ق		
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾	٦ ـ ١١	١٧
﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾	٣٣	٨٦
سورة النجم		
﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾	١٩ ـ ٢٣	٤٧، ٨٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾	٢٧	٤٨
﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾	٢٨	٤٨
سورة الحديد		
﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾	١٠	٨
﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢١	٨٠، ٨٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾	٢	٥٣
﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾	٩	٥٠
سورة الملك		
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾	٢	٨٩
سورة القلم		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	٤	٥٦
سورة المزمل		
﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ ﴾	٢٠	٨٨
سورة النازعات		
﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٢٤	٨٠
سورة البينة		
﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾	١	١٢
﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾	٢	١٢
سورة العصر		
﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	١ ـ ٣	٩٧

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
اتقوا الشحَّ، فإنَّ الشح أهلك من كان قبلكم	٩٧
أَحَبُّ الأسماء إلى الله ﷻ: عبد الله وعبد الرحمٰن، وأصدقُها حارث وهمَّام	٤٨
إذنْ يُعقرُ جوادُك، وتُستشهدُ في سبيل الله	٣٤
ألا إنَّ في الجسد مُضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله	٣٥، ٩٣
أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ فمن عمل عملًا أشرك فيه غيري تركته وشركه	٩٦
إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء. إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أنْ يتقنه	٨٨
إنَّ الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار	٦٥
إنَّ الله لا ينظرُ إلى أجسامكم وصُوَركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم	٥، ٣٥، ٨٦، ٩٣
إنَّ الله لن يجمع أمَّتي على ضلالة	٦٨
أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك	٥٣
أنتم شهداء الله في الأرض	٢٨
إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى	٨٢
أوصيكم بأصحابي، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ يفشو الكذب	٦٥
إياكم والشحَّ، فإنّما هلك من كان قبلكم بالشح	٩٥، ٩٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ح	
حديث هرقل	٩٤
د	
دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالِقة	٩٦
س	
سيكون في أمتي هَنَات وهَنَات، فمن أراد أن يُفرِّق أمر المسلمين	٦٦
ع	
العلماء ورثة الأنبياء	١٦
ف	
فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنَّة، وأعلى الجنَّة	٩٠
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين	٧٠
ل	
لا تذهب الليالي والأيام حتَّى تشرب طائفةٌ من أمَّتي الخمر، يسمُّونها بغير اسمها	٦١
لا تغضب	٩٦
لا تقوم الساعة إلَّا على شرار الناس	٦٩
لا يدخل الجنَّةَ مَن كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر	٩٦
ليشربَنَّ ناس من أُمَّتي الخمر يُسَمُّونها بغير اسمها	٥، ٤٤، ٦١
م	
ما أنا عليه وأصحابي	٦٤، ٧٠
من احتكر فهو خاطئ	٣١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من أَسْلف في تمر، فليُسلف في كيلٍ معلوم، ووزنٍ معلوم، إلى أجل معلوم	٣١
من جاء إلى أمَّتي ليفرِّق جماعتهم، فاضربوا عنقه كائنًا من كان	٧١
من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر عليه	٦٤
من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب	٣٥
من فارق الجماعة قِيدَ شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه	٦٦
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله	٣٤
و	
وإنما لكلِّ امرئ ما نوى	٧٩
وتؤمن بالقَدَر خيره وشرّ	٧٧
ولا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله	٦٩
ي	
يأتي على النَّاس زمان يُستحلُّ فيه خمسة أشياء بخمسة أشياء	٦١

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

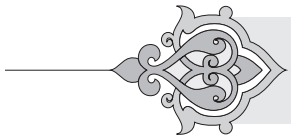

فهرس الموضوعات

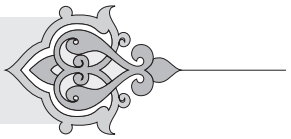

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• مقدمة ٧

❖ الأصل السادس عشر: التحذير من العُرف الخاطئ ١١

❖ تمهيد ١٢

حرص الإسلام على البيان والوضوح الكامل ١٢

معرفة الأشياء عن طريق اللغة والعرف والعقل والحسِّ والشرع ١٣

المعرفة عن طريق اللغة ١٤

المعرفة عن طريق العُرف ١٥

المعرفة عن طريق العقل ١٥

المعرفة عن طريق الحسِّ ١٧

المعرفة عن طريق الشرع ١٨

هذا الأصل من الأصول العشرين ١٩

احترام الحقائق الشرعيَّة كالإيمان ١٩

إيمان المنافقين إيمانٌ مغلوط ٢٠

يجب إيضاح مفاهيم الضلالة أيضًا لتستبينَ سبيلُ المجرمين ٢٢

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

❖ **الأصل السادس عشر** **٢٤**
للعُرْف أهميَّة في الدِّين والحياة ٢٤
الأعراف أنواع ٢٥
بين الحقيقة اللُّغويَّة والحقيقة الشرعيَّة ٢٥
التأصيل الشرعي للعُرف ٢٧
حاجة المفتي والقاضي إلى معرفة العُرف ٢٨
ابن عابدين يؤصِّل للعُرْف ٣٠
إلغاء الشرع لبعض الأعراف الشائعة ٣٠
تعديل بعض الأعراف ٣١
تغيُّر العُرف الَّذي بُني عليه الحكم ٣١
العُرف الخاطئ لا يغيِّر حقائق الألفاظ الشرعيَّة ٣٢
كلمات الإيمان والجهاد والشهيد وأمثالها ٣٣
معنى الولي والأولياء في النصوص وفي العُرْف ٣٥
لا بدَّ من معرفة الألفاظ والمصطلحات ٣٧
إنكار بعض النَّاس لمعاني موجودة في الإسلام (الحُرِّيَّة) ٣٩
العدالة الاجتماعية مضمون إسلامي ٤١
لا مُشاحَّة في الاصطلاح ٤٢
تغيير الأسماء لا يُغيِّر الحقائق ٤٣
تغيير الأسماء أحيانًا يجعل الأمر المختلف فيه مجمعًا على قَبوله ٤٥
المسلم لا يُدخل نفسَه في تسمية أشياء لا علم له بها ٤٧
ما يمكن أن يدخل فيه الاجتهاد ٤٨
أولًا: التأكُّد من حدود المعاني المقصودة بالألفاظ الشرعيَّة ٤٩
ثانيًا: الاحتراز من الخداع اللفظي في الدُّنْيا والدين ٥٠

QaradawiBooks.com

جناية بعض الأسماء على الحقائق ٥٠
تقبُّل مضمونات فاسدة ٥٠
رفض مضمونات صالحة ٥١
إنكار بعض الحقائق الثابتة لورودها بغير أسمائها المتداولة ٥٥
تعبُّد بعض النَّاس بالمصطلحات ٥٦
الدين والسياسة ٥٨
من خداع الأسماء في هذا العصر ٥٩
بلوى الوقوف مع الظواهر ٦٠
مصطلح الجماعة وما فيه من تفسيرات مختلفة ٦٣
القول الأول: الجماعة هي السواد الأعظم من أهل الإسلام ٦٧
القول الثاني: أنَّ الجماعة أئمة العلماء المجتهدين ٦٨
القول الثالث: الصحابة على الخصوص ٦٩
القول الرابع: جماعة أهل الإسلام ٧٠
القول الخامس: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ٧١

❖الأصل السابع عشر: العقيدة والعمل القلبي والجارحي ٧٥

❖الأصل السابع عشر ٧٦
المراد بالعقيدة ما يريده القرآن بكلمة الإيمان ٧٦
حرص البنَّا على تكوين رجال العقيدة ٧٨
العقيدة أساس العمل ٨٢
أنواع العمل المتفرِّع من العقيدة ٨٥
تحصيل الكمال في أعمال القلوب والجوارح مطلوب ٨٧
الكمال في أعمال القلوب ٨٩

QaradawiBooks.com

مراتب الترقِّي للمسلم ٩١
معاصي القلوب أعظم من معاصي الجوارح ٩١
لماذا شدَّد الإسلام في أمر معاصي القلوب؟ ٩٢
معاصي القلوب تدفع إلى معاصي الجوارح ٩٤
معاصي القلوب الباطنة قلّما يتوب صاحبها منها ٩٥
ترهيب الشرع من معاصي القلوب ٩٦
العقيدة الصحيحة أساس عمل الصالحات ٩٧
مفهوم الصالحات في القرآن ٩٨

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ١٠١
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ١١١
- **فهرس الموضوعات** ١١٥

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com